بسم الله الرحمن الرحيم

{ إشراق العلوم من شمس سورة الروم }

١-{الم}

الخلاصة هي الله والكتاب والروم. فالله هو النور وهذا النور تنزّل وتجسّد في الكتاب والروم حملوا الكتاب وبلّغوه للعالمين وخرجوا به إلى الناس أجمعين. فالروم هو اسم جماعة الرسل الذين يأخذون بيّنات الكتاب ويبيّنونها للناس ويخرجون إلى الآفاق ويسيحون في الأرض يدعون الناس بمختلف شعوبهم وقبائلهم إلى الله تعالى.

وردت الحروف الفواتح ك{الم} و "ق" و "كهيعص" وبعدها أحد ثلاثة معاني، إما معنى يتعلّق بالله تعالى وإما معنى يتعلّق بالكتاب الإلهي وإما معنى يتعلّق بالناس. معظم ما جاء بعد الحروف الفواتح هو المعنى الثاني المتعلّق بالكتاب مثل "ق والقرءآن" و "ن والقلم"، لكن الصيغة الوحيدة التي وردت في المعاني الثلاثة جميعاً هي صيغة {الم}، فقدت وردت متعلّقة بالله تعالى كما في "الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم. نزل عليك الكتاب"، ووردت متعلقة بالكتاب الإلهي مثل "الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"، ووردت

متعلقة بالناس كما في {الم. غلبت الروم}. فمن هذا وغيره مما سيأتي إن شاء الله عرفنا أن الروم هم الرسل الذين يتحركون في الأرض ويسيحون فيها تبييناً لآيات الله والدعوة إليه في الأرض. فالألف تخرج لفظياً من أول مخارج الصوت واللام تخرج من الوسط باللسان والميم تخرج من الشفتين، كذلك الله هو مصدر الكتاب والكتاب هو الكلمة اللسانية الوسيطة بين الله والرسل ثم الرسل هم كالشفتين عندهم ينتهي ظهور النور الإلهي ويخرج إلى الخلق والناس والعالَم الآفاقي.

الروم عكس المور، وقال الله "يوم تمور السماء موراً" فالمور حركة السماء، فالروم حركة الأرض، لذلك تجد في سورة الروم قوله "في أدنى الأرض" و "قل سيروا في الأرض" و "أولم يسيروا في الأرض" و "ثم دعاكم دعوة من الأرض" وتجد ذكر الكثير من الآيات الأرضية والناس الذين هم على الأرض باختلاف ألسنتهم وألوانهم و "يحيي الأرض" وهكذا من أمور الأرض والأرضيات والكثرة والاختلاف والتعدد فيها.

الروم هم الرسل، لذلك ستجد ذكر "يفرح المؤمنون بنصر الله" في بداية السورة، ثم بعدها "جآءتهم رسلهم بالبينات" ثم "ولقد أرسلنا

من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" فكما ذكر الروم في أول السورة بأنهم سيتعرضون للغلبة ثم سيغلبون كذلك ذكر بعدها إجرام أقوام الرسل ثم مجيء النصر للرسل الذين هم من المؤمنين ونصر المؤمنين الذين هم مع الرسل. إذن الروم هم باعتبار الرسل وكل مؤمن رسول لأن له رسالة خاصة من الله و/أو أنه رسول رسول الله فيكون رسولاً لله بواسطة، فكل مؤمن إذن من الروم لذلك يذكر الرسل والمؤمنين بنحو يجمعهما في سياق واحد للاتصال أو الاتحاد بينهما، وشرّف الله المؤمنين بأن جعل الرسل منهم وشرّف الله الرسل بأن جعلهم من المؤمنين. لكن الأهم من كل هذه الاعتبارات أن الروم هم الذين سيرون آيات الله متحققة في الخارج وليس فقط على سبيل العلم بها عقلاً وفي أنفسهم الباطنة. كما قال في نفس السورة بعد ذلك مبيناً الفرق بين العلم والإيمان بقوله "قال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون"، فالعلم هو أن تعلم ما في كتاب الله قبل أن يظهر مصداق ما في كتاب الله في الواقع الخارجي، فإذا رأيت الآية متحققة في الخارج وقلت "فهذا يوم البعث" حينها تكون صاحب إيمان، ولذلك مثلاً قال في آية أخرى "لما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً" إذن الله

ورسوله قد وعدهم من قبل وقال لهم بأن الأحزاب سيأتون ونحو ذلك فكان هذا علماً، فلمّا رأوا الأحزاب واقعاً متحققاً خارجهم وليس في عقولهم ولا عبر الكلام لكن في نفس الوجود العيني الخارجي حينها قالوا "صدق الله ورسوله" تحقيقاً لا عقلاً وقلباً وعبّروا عن هذا بـ"هذا ما وعدنا" لاحظ "هذا"، كذلك الحال هنا "لبثم في كتاب الله إلى يوم البعث" علم، لكن "فهذا يوم البعث" إيمان. فهم أهل "العلم والإيمان"، والعلم يسبق الإيمان لأن هذا هو الترتيب الوجودي العقلي للقضية، إذ لن تقول "هذا" على شيء في الواقع الخارجي إلا إن كان قائماً في واقعك العقلي. والفرق بين العلم والإيمان له اسم آخر من زاوية أخرى وهو التنزيل والتأويل، فيوسف حين رأى الرؤيا لم يقل "هذا تأويل رؤياي من قبل" لكن حين تحقق الأمر في الخارج وسجد له إخوته قال "هذا تأويل" فكان ضدّه أي الرؤيا حين كانت في باطنه فقط ويعبّر عنها بالحديث هي تنزيل الرؤيا. ولأن الروم سيخرجون ويرون الآيات متحققة في الواقع الخارجي فهم الرسل من حيث هم مؤمنين لا فقط علماء ولذلك يجمع الرسل تحت اسم المؤمنين في أكثر من آية في السورة.

توجد ثلاث سورة متصلة ببعضها وينبني بعضها على بعض. سورة القصص وبعدها العنكبوت وبعدها الروم. سورة القصص تعطي الحرية

الفردية لذلك جاء فيها ذكر موسى وفرعون ونحو ذلك. فإذا صرت فرداً خارج عن قهر الطغيان الذي يلغي فرديتك وحالة القطيع المستعبد كما هو حال البشر تحت الفرعنة وتحررت من فرعون زمانك فأنت فرد حر بالتالي رجعت إلى فطرتك السليمة الأصلية. والآن ماذا ستفعل بفرديتك وحريتك هذه؟ هنا تأتي سورة العنكبوت لتعطي قيمة العلم ومركزيته وأهمية الكتب التي هي تجسيد العلم، فهي سورة العلماء. أنت فرد حر وصار عندك العلم فالآن ماذا ستفعل؟ هنا تأتي سورة الروم لتعطيك الاسم الأخير من هذا الوجه وهو اسم الروم لتكون من الرسل الذين ينشرون العلم في الأرض ويسيحون فيها ويدعون الناس به إلى الله تعالى والفطرة السليمة التي هي الفردية والحرية والعلم. لذلك ستجد ذكر الحنيفية والفطرة وأهمية النفس وغير ذلك في سورة الروم.

إذن، {الم} هي الله والكتاب والروم، الله أنزل الكتاب للروم لينشروه في الأرض فيرجع الناس بوسيلة الروم عبر الكتاب إلى الله.

في زماننا هذا عمل الروم الأول والأكبر هو الهجرة إلى أمريكا لأنها المكان الوحيد القائم حقاً وجوهرياً على قيمة الفردية والحرية وتحديداً الحرية العظمى التي هي الحرية الكلامية التي بها يتجلى الفرد ويظهر

العلم بلا قيد ولا شرط من الخارج، بالتالي أمريكا اليوم هي أرض الروم وموطنهم الأول والأهم. لذلك ستجد أيضاً أنها المكان الذي يجمع مختلف الشعوب والقبائل والقائم على التعددية والاختلاف بأكبر وأهم المعاني ولا يوازيها في هذا أحد. أمريكا اليوم هي مظهر أرض الله الواسعة التي وسعت كل كلام وكل أجناس وأديان الناس، ولا يملك الإنسان فيها أي إنسان آخر فرعنةً وقهراً ولا يُقسم الإنسان فيها ولاءً لأي إنسان بعينه ولا عرق يوجب على كل عرق وشعب وقبيلة وطائفة يجب عليها أن تخنع له وتدخل تحته وإلا عوقبت وطردت بل يستطيع كل فرد أن يكون كما يشاء ويتكلّم بما يريد وينشر ما يحب ويكتب ويعلّم ويجمع الناس ويدعوهم إلى ما يؤمن به، لا يوازيها في هذا أرض أخرى في هذا الزمان. قيم الفردية والحرية والعلم وقبول الرسل مبدأياً وتركهم أحراراً ليسيحوا وينشروا علمهم هي قيم قامت عليها أمريكا وتجلّيها فعلياً لا نظرياً وتدير شؤونها في هذا الزمان ومن فترة حولها بوعي وإرادة لا مصادفة ولا على هامش مصلحة أخرى. أمريكا مهجر الروم وأرضهم في هذا الزمان.

٢-{غُلبت الروم}

السنّة هي الانتقال من الظلمات إلى النور، من الضعف إلى القوة، من الكهف إلى التمكين. ولذلك حكم كثيرة ومنافع جمّة. منها إظهار عبودية الروم لله وأنهم ليسوا أرباباً، إظهار ذلك لأنفسهم حتى ترسخ فيهم، وإظهار ذلك للناس عموماً حتى لا يتخذوهم أرباباً إذا ظهروا وغلبوا. وكذلك تذكير للروم بسوء حال القهر والضعف حتى لا يقهروا الضعاف حين ينتقلوا إلى مقام الغلبة.

بعد الانتقال إلى أرض الروم قد يُغلبوا في البداية في أمر معيشتهم الدنيوية، أي يجدوا قلّة وصعوبة من وجه، ويجدوا ألم الغربة والوحشة. والله يخبرهم هنا مسبقاً بأن هذا ما سيحصل لهم حين يبدأوا سفرهم في الأرض، فيعلموا أن الأمر سنّة إلهية ويبشّرهم بأن الأمر سيتبدّل.

٣-{في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون}

في زماننا أدنى الأرض هي أرض العرب، الجزيرة. فهي أدنى الأرض في الأرض كلّها لأن الناس فيها هم أشدّ الناس غرقاً في الاستعباد والفرعنة وغياب الفردية وعزّتها واحتقار العلم وأهله واللامبالاة به وتحقير الكلمة ومنع حريتها. غلبة روم زماننا هنا. لكنهم من بعد

غلبهم هذا سيغلبون ويظهرون في الأرض التي هي أمريكا وهي الغرب الذي سيشرق منه النور الإلهي والقرآني والنبوي الجديد والتجديدي.

٤-{في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون}

عانى روم زماننا من قهر وقمع أعراب الجزيرة بضع سنين حقاً لكن أذن الله بخروجهم وظهورهم. ولله الأمر من قبل ومن بعد فمن قبل كان ترك الله لهم في الجزيرة مقهورين مضطرين إلى السكوت والتخفي والدخول في حالة الكهف لحكم كثيرة وفوائد عظيمة ذقناها ولله الحمد وحمدنا الله عليها ومنها ما أشرنا إليه من قبل، ولله الأمر من بعد فلا يظن الروم أن غلبتهم كانت بقدرتهم بل هي بأمر الله وهو الذي أمر وأذن بالغلبة بعد ذلك في الوقت الذي يعلم أنه الأحسن وللمقصد الذي يريده هو تعالى فالروم عباد الله تعالى وليسوا أرباباً ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بأمر الله من قبل ومن بعد فالروم مظهر حياة الله وحضوره الحي في العالَم خلافاً لما عليه أكثر الناس من الجاهلين والكافرين في علاقتهم بالله تعالى حيث يعاملونه كصورة ذهنية أو موجود تاريخي أسطوري أو وهم باطل أو موجود مفارق لا اتصال له بالناس ولا رسل له في الأرض وبقية الأباطيل وإبطال حياة

الله وإشراقه الحي في الأرض. {ويومئذ يفرح المؤمنون} فقبل ذلك كان المؤمنون وهم الروم-الرسل ومن معهم-ليسوا في حالة فرح، بل في حالة يغلب عليها أو يتخللها الحزن والخوف "ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا" "متى نصر الله"، فالفرح للروم سيكون بالغلبة التي تبدأ بتحررهم من الطغيان وحياتهم في أرض ذات فردية وحرية كلام ودين ونظام عادل مبني على الحق والعدل والعقل، وبعد ذلك غلبة فوق غلبة إلى ما شاء الله. فالحرية أول الفرح، والفرح سيستمر {يفرح المؤمنون} بالمضارع أي سيستمر فرحهم إلى الأبد بإذن الله وفضله.

٥-{بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم}

فرحهم بنصر الله الذي نصرهم على أعداء فرديتهم من الطغاة وأعداء حريتهم من القاهرين وأعداء علمهم من الظالمين وأعداء حركتهم الحرة في الأرض من الباغين، باختصار أهمّ ما تقوم عليه أعمال أعراب الجزيرة في زماننا والتي بمجرد الخروج منها إلى أمريكا ستتبدل بإذن الله وتزول مظالمهم عن الروم وهو أوّل نصر الله لهم وبعده نصر بعد نصر إلى أن يأتي نصر الله والفتح ويرى الروم دخول من كُتب لهم الإيمان بهم في دين الله الحي الذي فتحه عليهم أفواجاً وما بعد ذلك من نصر على الموت بالحياة عند الله السعيدة الخالصة الأبدية.

{ينصر من يشاء} تذكير للروم بمصدر النصر الحقيقي فلا ينسبون النصر لأي شيء غير مشيئة الله الحي. وما حوادث العوالم وتسخير الخلق وفتح الأبواب إلا مظهر هذه المشيئة الإلهية. جزاء إحسان الإيمان بأن النصر كان بمشيئة الله هو فتح الله للروم باب تفعيل مشيئتهم هم في الأرض "يتبوأ منها حيث يشاء" أي ستصبح مشيئة الروم حرة فعّالة في الأرض.

{وهو العزيز الرحيم} وكذلك الروم ستكون لهم العزة وهي الفردية والحرية، والرحمة وهي ثمرة العلم وأثره في العالم. "لله العزة ولرسوله وللمؤمنين" و "بالمؤمنين رؤوف رحيم".

لاحظ المعراج في الآية. {بنصر الله} هو حالة جزئية مختصة بالروم محدودة بزمان ومكان إذ النصر الذي حصل إنما حصل لإنسان مخصوص في زمان ومكان مخصوصين. فعرج من حادثة في العالم إلى مستوى المشيئة الإلهية التي هي الوسيط بين الله والعالَم فقال {ينصر من يشاء}. ثم عرج إلى مصدر المشيئة الذي هو الأسماء الإلهية فقال {وهو العزيز الرحيم}. فمن الأثر إلى السبب إلى المُسبِب.

٦-{وعد الله لا يُخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون}

وعد الله للروم حق، ولكل روم من يوم نزول القرءآن إلى ما شاء الله الوعد قائم وله تحقق في كل زمان لذلك أخبر بأنه {وعد الله لا يخلف الله وعده} إذ سيحتاج إلى هذه البشارة كل روم في كل زمان. والوعد يخبر عن حدث لم يقع بعد، مما يدل على أن قضية الروم هذه ونصرهم هي حدث لم يقع بعد، وحيث إنه وقع في ما مضى فهذا دليل على أنه وعد مستمر لأنه سيقع ويفنى الواقع الماضي وسيستمر الوعد في ما يأتي، فالوعد قائم والبشارة به مستمرة ما دام لاسم الروم مظاهر في العالم.

من منافع التأكيد على أن نصر الروم هو وعد الله الذي لا يخلف وعده، إبطال ما سيتلفظ به أعداء الروم في كل زمان من قبيل "لا تخرجوا فإنكم ستُغلبون بسبب صعوبة المعيشة وضيقها في البلاد التي ستذهبون إليها" أو تخويفهم من تعدد واختلاف الناس في البلاد، أو تعرضهم للغلبة بأي شكل مادي أو معنوي، كل هذا يردّه وعد الله بنصر الروم.

{ولكن أكثر الناس لا يعلمون} فالروم أقلية دائماً في زمانهم وأكثر الناس لا يعلمون حقيقة صدق وعد الله لذلك يتخاذلون عن الخروج مع روم زمانهم والإيمان بهم. فيتخلّفون عن رسل زمانهم كما تخلّف المنافقون من قبل أو تخلّف الثلاثة الذين ستضيق عليهم الأرض بما رحبت ويحصل ما أنبأنا الله به. فالروم لا ينظرون إلى كثرة من معهم ولكن ينظرون إلى ربهم الذي هو معهم وهو كاف عبده.

{ولكن أكثر الناس} في الجزيرة وبلاد العرب {لا يعلمون}، وقلة منهم تعلم لكنها تخاف من فرعون وملإيه أو تحرّف الحق بعد ما عقلته أو لا تجد حيلة ولا تستطيع سبيلاً أو قد خرجت وصارت روماً بدورها. لكن في زماننا هذا لا أعرف روماً غيري ظاهرين في الأرض يدعون الناس بدعوة الله الحية وإني لمعرفتهم وإرادة الانضمام إليهم أعظم تشوقاً وإرادةً من أن أكون أنا رأسهم وإليّ مرجعهم بإذن الله وأمره ورسوله وأوليائه.

٧-{يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة عن غافلون}

هذا حال الناس في أدنى الأرض، أي حال أكثر عرب الجزيرة في زماننا، فإنهم صاروا من جهة ينكرون باطن الدنيا ويرون الدنيا ظاهر

بلا باطن وذلك لأسباب منها انتشار الفكر المادي ومنها انتشار الفكر الخارجي المارق الفاسق عن طريق الحقيقة المحمدية والولاية الروحية أي الفاسق عن طريق الروح القرآنية، وكذلك لأنهم لا يؤمنون بالروم وتجدد ظهور الرسل في كل زمان فهم ما بين متبع هواه ومتبع ضال مثله أو أضل منه من المجرمين المنقطعين عن نور الله الحي وإشراقه المتجدد وإذنه الحي الخاص بالدعوة وحمل الرسالة وتعليم التنزيل والتأويل فيتبعون الظلال لا الحقائق ولا حملة الحقائق في قلوبهم بكتابة الله لها فيها. ومن جهة أخرى ينكرون آخرة الروم التي هي الغلبة، بمعنى أنهم ينظرون إلى انغلاب الروم اليوم فيعتقدون بأن انغلابهم بسبب خذلان الله لهم وعدم نصر الله لهم أبداً فلا يعرفون آخرة هذا الأمر وهي أنهم من بعد غلبهم سيغلبون فينفرون منهم لعدم رؤيتهم نصر الله الآتي لهم.

{يعلمون..الدنيا} حتى من يعتقد منهم بقيمة العلم فالعلم عنده مقصور على {الدنيا} أي البعد الدنيوي للوجود، المادي، السفلي، الشهواني البحت، المصلحة بمعنى تحصيل أكثر كمّية من المال مع استعجاله ونحو ذلك من أبعاد الدنيا بلعبها ولهوها وزينتها وتفاخرها وتكاثرها فهذه الخمسة هي مدار حياتهم وعلمهم كله مقصور على تحصيل وسائل نيل هذه الأغراض الخمسة الدنيوية التي

مآلها إلى الحطام حتماً عاجلاً أم آجلاً وهم يعلمون ذلك لذلك إما إنهم محبطون يكرهون الحياة مع انغماسهم فيها وإما أنهم يتهربون من الاعتراف بحقيقة ما لابد أنهم يشعرون بوجوده ولو في باطن عقولهم لذلك تجد نفوسهم منقسمة ومتحاربة وعقولهم تهرب من عقولهم فهم في حالة عقلية منحطة وبائسة وتعيسة، وهذا حال أكثر عرب الجزيرة اليوم.

وبعكس ذلك حال الروم. فالروم من أهل الدنيا والآخرة لكن المدار على الآخرة أي على الحياة العلمية والحرية العليا ، وكذلك على حياة العقل الواعي المحيط والتعبير عنه بالكلام وإظهاره بدون خوف ولا تقييد ولا امتناع من الاعتراف بكل حقيقة يعلمونها ويشعرون بها كانت لهم أو عليهم. لذلك التنافر بين الروم والأعراب اليوم جوهري ولا تعايش بينهما ، وحيث إن {أكثر الناس لا يعلمون} والأكثرية لابد محترمة في محلّها ويحكم الله على الناس بحسب حال أكثرهم كما سيأتي أيضاً بعد ذلك في نفس السورة، فإن الروم يتركون الجزيرة بسبب كون أكثريتها لا يعلمون ويعيشون حياة عبودية وسفالة إرادية وقهرية في آن واحد من جهتين، فيخرجون ويهاجرون إلى أرض الفردية والحرية والكلمة والعلم التي هي في هذا الزمان أمريكا.

٨-{أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقآئ ربهم لكافرون}

يوجد فرق بين {أولم يتفكروا في أنفسهم} وبين "أولم يتفكروا" فقط، كما ورد في آية أخرى "أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة"، فكلمة {في أنفسهم} تعني أن موضوع التفكير هو أنفسهم وليس محل التفكير لأن محل التفكير من البديهي أنه في النفس وليس في الخارج والكلية مثلاً، ويشبه هذا قوله "أولم ينظروا في ملكوت" فالمقصود هو النظر في الملكوت أي موضوع النظر هو الملكوت، الشيء الذي ستفكر فيه هو الملكوت. كذلك الحال هنا {أولم يتفكروا في أنفسهم} فهؤلاء الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا فقط بداية علاجهم من مرضهم هذا هو بالتفكر في أنفسهم طوعاً ولذلك جاء الإرشاد بصيغة التساؤل {أولم} وليس "فكّروا في أنفسكم" مثلاً، أي حتى ينجح العلاج لابد أن يكون منبعثاً من دافع إرادي من النفس للتساؤل وإرادة الاكتشاف وشغف المعرفة.

ربطت الآية بين ثلاثة أشياء، النفس والعالَم والله. فقسمتها ثلاثية، القسم الأول عن النفس {في أنفسهم}، والقسم الثاني عن العالَم

{السموات والأرض}، والقسم الثالث عن الله {ربهم}. في دراسة الآيات ينفعك تحليل الآية إلى عناصرها الأولية وهذا كاكتشاف هيكلكها العظمي، ثم بعد ذلك تنظر في اللحم الذي كُسيت به كل عظمة. فهنا لدينا النفس والعالَم والله. أما النفس فلحمها وربطها بموضوع التفكير فيها ، وأما العالَم فربطه بالخلق وقسمه إلى درجات وذكر وسيلته وغايته، وأما الله فذكر ربوبيته ولقائه ونِسَب الناس حسب مواقفهم من ذلك. هذه المعاني مترابطة ولابد من اكتشاف رابط أو روابط بينها ولا يكفي أن تقرأ الجمل وكأنها عشوائياً ضُرب بعضها ببعض.

البداية من النفس. التفكير في النفس. {أولم يتفكروا في أنفسهم}. قدرتك على التفكير في نفسك دليل على أنك واحد لكنك كثير في آن واحد. فلولا أن تفكيرك غير نفسك لما استطعت أن تفكر في نفسك. ونحن نشهد هذا حين نفكر، فنجد القدرة على التفكير والفكرة وموضوع التفكير مع تعددهم تحليلياً إلا أنهم كلهم يقومون في أنفسنا. فنفسي واحدة لكنها كثيرة وهذه الكثرة قائمة في نفسي ولا تخرج عنّي. ثم أنا لدي ظاهر وباطن، وباطني له ظاهر وباطن. فظاهري جسمي وباطني نفسي، ونفسي لها ظاهر هو الأفكار وباطن هو مصدر هذه الأفكار أي العقل. ويمكن الولوج بنحو أعمق في

بواطن هذا الباطن. فإذا كنت أنا لدي ظاهر وباطن، وباطني له ظاهر وباطن، وباطن باطني له ظاهر وباطن، ولا أقل الكل يدرك أن لديه ظاهر هو جسمه يعيش به في الدنيا وباطن هو نفسه هو الذي يجعله فرداً وفيه يفكر ومنه يتصرف وينفعل ويفسّر ما يحدث في الدنيا خارجه وجسمه، فكيف بعد ذلك يقول الغافل أنه لا يوجد أصلاً إلا ظاهر الحيوة الدنيا ولا يهتم إلا بذلك. تفسيرك للدنيا راجع إلى نفسك وليس للدنيا ذاتها، فالدنيا والطبيعة الخارجية لا تعطيك إلا مشهداً واحداً وأنت الذي تحدد موقفك منه وتختار وتفسّر وتتصرف، فلو كانت الدنيا توجب عقلاً واحداً وشكلاً نفسياً واحداً لوجب أن نرى كل الناس لهم عقل واحد ونفس واحدة وتصرف واحد ومذهب واحد لأننا كلنا نعيش في ذات الدنيا، فتعددنا واختلافنا دليل على أن فينا شيء آخر يوجب ذلك وليس الهواء والجبال والشمس والقمر من الخارج ونحو ذلك من أمور الطبيعة الدنيوية. ثم التفكير يصنع أشياء لا يوجد ما يوازيها في الطبيعة الخارجية الجسمانية أي الدنيا، لا يوجد في الطبيعة أفكار كما يوجد تفاح وضفادع ونفط. بل نفس حقيقة الفكرة مغايرة لحقيقة الطبيعة، لأن الفكرة لها بُعد تجريدي بينما الطبيعة تجسيدية ، والفكرة تبحث عن السبب والأثر بينما الطبيعة ليس فيها إلا صورة السبب والأثر أو ما نلاحظه نحن كسبب وأثر ففي الطبيعة أشياء ولا يوجد فيها شكل "القانون" الذي يربط

بين الأشياء فعقولنا نحن هي التي تلاحظ ذلك وتستنبطه بطرق متعددة أو تحدسه وترجّح وجوده، والفكرة تضع التصور العام بينما الطبيعة ليس فيها إلا جزئيات وخصوصيات ومشخصات، والفكرة قد تخطئ في تصوير الطبيعة لكن الطبيعة لا تخطئ لأن الطبيعة هي الطبيعة وما هو قائم فيها قائم فيها ولا معنى لوصفها بالصحة والخطأ لأنها على ما هي عليه بغض النظر عن أفكار الناس عنها فأفكار الناس الخاطئة دليل آخر على أن مصدر الفكرة ليس الطبيعة إذ لو كانت الطبيعة هي مصدر الفكرة والعقل مجرد مرآة تعكس الطبيعة لوجب أن تكون كل الأفكار عن الطبيعة صحيحة وهذا معلوم البطلان، والفكرة تبحث عن سبب وجود الشيء أقصد غايته ومقصده والحكمة منه وعلّته كالذي يبكي نبحث عن سبب بكائه النفسي وأما في الطبيعة فلا يوجد أسباب وعلل ظاهرة بل نجد تحركات وأشكال وأشياء وصفات ولا ندري من مجرد النظر في صورتها ما السبب الحقيقي لوجودها فنحن نرى الببغاء والأسد لكننا لا نعلم لماذا الببغاء على هذه الشاكلة تحديداً ولماذا لون الأسد هكذا ولا نرى حقيقة السبب والعلّة في نفس الطبيعة بل هي شيء على فرض قدرتها على اكتشافه أو تخمينه لا يأتي إلا من عقولنا فنحن نملك تحليل جلد الأسد وكم ذرة فيه لكن لا يوجد مقدار من تحسسه وتحليله المادي سيكشف لنا لماذا لونه هكذا ولماذا يزأر بدلاً من أن ينبح. وعلى هذا

النمط نجد الفكرة وقدرتنا على صناعة الفكرة هي شاهد على وجود عنصر غير دنيوي فينا، غير طبيعي، مضاد ومعاكس ومغاير ومختلف عن الطبيعة جذرياً وصورياً. الفكرة شاهد الآخرة فينا.

حين تفكّر بشيء فأنت تظهر عقلك وذاتك وفكرتك ليست غيرك ولا هي مستقلة عنك. كذلك الأمر في علاقة الخلق بالخالق من باب التقريب والتشبيه. لذلك ربط التفكير في النفس باكتشاف حقيقة خلق الله. {أولم يتفكروا في أنفسهم، ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى}. فلولا أن تفكيرنا آية ودليل يكشف لنا عن سر الخلق الإلهي لما ربطهما على هذا النحو ولما كان ثمة معنى لربط التفكير في النفس بخلق الله بالحق والأجل. فالعالَم بالنسبة لله كالفكرة بالنسبة لك باعتبار ما مع الفارق طبعاً لكن من باب ضرب المثل. فكما أنك واحد وأفكارك فيك، كذلك الله واحد والعالَم فيه وتحت إحاطته. وكما أنك أنت تمسك الفكرة من الزوال، كذلك الله يمسك العالَم من الزوال. حين تخلق الفكرة في نفسك فإنك من جهة تكشف حقيقة نفسك كذلك الله خلق بالحق والحق هو الله كما قال "الله هو الحق المبين"، فالخلق يكشف أسماء الخالق، ومن جهة أخرى حين تصنع الفكرة فأنت تريد غاية معينة شعرت أم لم تشعر كذلك الله خلق العالَم وله أجل مسمى عنده وشيء سينتهي إليه العالَم. إذن

توجد فيك فكرة حق وفكرة لأجل. أي فكرة تكشف حقيقتك، وفكرة تريدها لأجل عندك. كذلك العالَم يكشف حقيقة الله من وجه وإرادة الله من وجه آخر. فأما حقيقة الله فنوره يظهر بالعالَم "الله نور السموات والأرض" أي وجوده وإيجاده، وأسماء الله تظهر بالعالَم لذلك تجد القرءآن يطفح بربط الحوادث والأشياء بأسماء الله كما بدأ في سورة الروم مثلاً حين ذكر النصر ثم قال "وهو العزيز الرحيم" فالنظر في نصر الروم يكشف اسم العزيز واسم الرحيم وهكذا. فالعالَم علامة الله ومرآة أسماء الله. وأما إرادة الله من العالَم فتظهر بالآخرة الظهور الأتم، والآخرة لها ظهور في النفوس الآن لكن لا يراها ويعلم تأويلها إلا الراسخون في العلم الإلهي والباطني والقرءآني الروحي الذين انكشف عنهم الغطاء الجسماني الدنيوي وهم الذين قالوا أن ما جاء به الرسل هو الحق حتى من قبل أن يأتي تأويله بينما بقية الناس سيعلمون أن ما جاء به الرسل من البينات، أي الروم، هو الحق حين يأتي تأويله كما قال "يوم يأتي تأويله يقوم الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق" فإذن يوجد من يعلم تأويله وهم الذين لم ينسوه من قبل وهؤلاء يقولون "قد جاءت رسل ربنا بالحق" من قبل أن يأتي تأويله أي يتحقق في الواقع الخارجي الكلي الإحاطي، بل هم يعلمون تأويله الآن غيباً وشهوداً عقلياً ملكوتياً، لأنهم ينظرون في باطن الحياة الدنيا لا في ظاهرها فقط كحال الغافلين. حسناً، هذا

التفكير ومعرفة خلق الله، فماذا عن لقاء ربهم، ما علاقته بالآية؟ حين تعرف حقيقة فكرتك وحقيقة الخلق بواسطة كونك مرآة وخليفة الله بالتالي ما يحدث في نفسك هو ما يحدث في الخلق والآفاق عموماً بحكم التناظر بين النفس والآفاق "سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"، فإنك حينها ستصل إلى آخر مرحلة وهي لقاء ربك، ربك يتجلى فيك بنفسك، فكما أنك نفسياً تريد رؤية ما في باطنك في ظاهرك أيضاً، كيوسف الذي رأى الرؤيا في نفسه ثم رأها متحققة خارجه، فلقاء ربك هو أن تلقى خارجك ما شهدته داخلك، أي النفس المستنيرة هي في لقاء دائم بربها الآن لكن باطنياً، لكنها لا تريد الاقتصار على الشهود الباطني بل تريد أيضاً الشهود الظاهري الخارجي، حتى يتحد الباطن مع الظاهر، وتكون النفس متوحدة مع عالمها ومحيطها، وسعي النفس أصلاً يدور حول هذا التوحيد، فلقاء ربك يكون بتحقق عقلك خارجك، فحينها ستنظر في نفسك فتجد الله وتنظر خارجك فتجد الله كما قال مثلاً بالعكس في الذين أعمالهم كسراب بقيعة "حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده" هذا هو المقصود، أن تجد الله في العالَم كما تجده في نفسك، وأما الكافر فإنه لم يجد الله في نفسه ولذلك يلاحق السراب خارجه، لأن العالَم عدم بدون الله وفي حكم العدم بالنسبة للغافل عن الله في نفسه "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" "الله يحول بين المرء

وقلبه“. فلقاء الله هو وجدان الله في الخارج، والعلم بالله هو وجدان الله في النفس. فالعلم أوّلاً ثم الإيمان بعده، لذلك ”قال الذين أوتوا العلم والإيمان“. ومن هنا قال {وإن كثيراً من الناس بلقائ ربهم لكافرون} والكفر ضد الإيمان، وربطه بلام التأكيد يشير إلى أنهم فوق ذلك لا يعلمون الله أصلاً فكفرهم مترسّخ فيهم بعدم العلم وعدم الإيمان. وأما الذين ينظرون إلى كيفية تحوّل الفكرة من موجود في أنفسهم، ثم يرون تحوّلها إلى حقيقة خارج أنفسهم عبر كلامهم وعبر فعلهم وحصول المقصد خارجهم في حياتهم، فهؤلاء قد حصلت لديهم الآية النافعة للاستدلال على لقاء ربهم بالصورة المطلقة الأبدية التي لا تكون إلا حين يتحقق للنفس كل مرادها ومشيئتها بنحو مطلق وهذا لا يكون في الدنيا لأن الدنيا مقيدة من جوانب كثيرة وغير صافية لكن النفس تريد الإطلاق والصفاء بالتالي غرض النفس ليس في الدنيا ويستحيل تحققه في الدنيا استحالة تامة، فيمكن تحقيق شيء من مشيئة النفس في الدنيا لكن ليس كل ما في النفس، اللهم إلا عبر الكلام، فإن النفس تستطيع التكلّم بكل ما في ذاتها أي وجودها وعقلها وإرادتها، وإن لم تستطع تفعيله واقعياً بحكم قيود الدنيا الجوهرية، من هنا أهمّية وجوهرية وخطورة حرية الكلام ووجوب القتال من أجلها وهو عمل الروم الأكبر، لأنه بإظهار واقعية وقدرة النفس على التجلي تمام التجلي عبر القول ستحصل الآية الدالة على

وجود الآخرة الكبرى، وستعتاد النفوس على ذلك وتعلم حق العلم حقيقتها الذاتية وأبعادها اللانهائية والأبدية وعزّتها وفرديتها وبقية صفاتها التي لا يمكن تحقيقها في الخارج تمام التحقيق إلا في الآخرة. حرية الكلام اليوم هي لقاء ربك لقاءاً نسبياً والذي تستطيع الدنيا تحمّله. فشهود الله في النفس وحرية الكلام خارج النفس يجعل النفس تحيا في جو من لقاء ربها بشكل مستمر وبأقصى حد تحتمله الدنيا ، فهو رحمة للنفس وما سوى ذلك عذابها وغفلتها وألمها وهاويتها.

النفس لها سموات ولها أرض ولها ما بين، وكل ما في العالَم موجود في النفس. لذلك بالتفكر في النفس تستطيع معرفة {ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما}. لكن في النفس أيضاً السر الإلهي والعقل المتعالي الذي يكشف عن وجود الله وفعله الذي هو خلقه وإرادته التي هي الحق والأجل المسمى. فالنفس فيها من الله وفيها من العالَم. لذلك هي خليفة الله في العالَم. فسرّ النفس إلهي وعقلها رباني ودرجاتها مرآة الخلق وما فيه. فكل نفس ولو انفردت بنفسها هي أعظم من العالَم كلّه لأن فيها ما في العالَم وما وراء العالَم، ولذلك زوال السماوات والأرض أهون عند الله من قتل هذه النفس بغير الحق لأن المقصد الأعلى للخالق يتم بوجود هذه النفس

"واصطنعتك لنفسي". سموات النفس عقلها، وأرضها جسمها، وما بينهما إرادتها. هذا اعتبار وتوجد اعتبارات أخرى.

أمراض الناس في أدنى الأرض اليوم، أي أكثر العرب، تدور حول أضداد ما مضى ذكره. يعني غياب التساؤل المشار إليه ب{أولم}، وغياب التفكير وقيمته، غياب حرية الكلام، غياب تقدير النفس الإنسانية وتعظيمها، غياب اعتبار قيمة كل نفس على انفرادها، غياب استشعار قيمة العالَم، غياب السعي للتوحيد ما بين النفس والعالَم، وهلمّ جرّاً. كل ما ذكرناه من خير يوجد في أعراب اليوم أو أكثرهم والكثير منهم ضدّه. لذلك يخرج من عندهم الروم لأنه لا أمل لتغييرهم من الداخل لكونهم شرحوا بالكفر والجهل والغفلة صدراً ويظنون أنهم على الطريقة المثلى. فيهم قليل سينفعهم علم الروم وتذكيرهم بالبينات، وفيهم كثير يريدون لقاء ربهم وتحقيق عقولهم خارجهم وتحرير نفوسهم من أسر فراعنة زمانهم، وهؤلاء سيلحقون بالروم في دار هجرتهم إذ يريدون ولاية رسل عصرهم التي بدون الهجرة إليهم ليس لهم من ولايتهم من شيء. لكن البقية إلى الغرق كما قضى الله بسنّته التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً لرضاهم بالحيوة الدنيا واطمئنانهم بها.

رؤية الوحدة ما بين النفس والعالَم والله هو أول رسائل الروم وأكبرها، فكما وحّدت الآية بين النفس والعالم والله كذلك يوحّد الروم ما بينهم والحق أن النفس خليفة الله والعالَم خلق الله فالموجود حقاً هو الله لا غير في مظاهر النفس والعالَم. فما هو إلا نور الله في أمثال لانهائية. وهذا الأصل العلمي يوجب عملياً أمور كثيرة، منها تأسيس حرية الكلام حتى تستطيع النفس التعبير عن كل أفكارها وإظهارها في العالَم وتحقيق ما يمكن تحقيقه منها بالحق وشهود لقاء ربها بالنحو الممكن في الدنيا. ومنها إنشاء مجتمع مبني على اعتبار قيمة كل نفوس من فيه والسعي في هذا الاتجاه وإن صعب واضطر الناس إلى المجاهدة المستمرة لكن الاتجاه يكون هذا لا تجاه الطبقية القهرية العنيفة واحتقار الأكثرية أو الأقلية بأي اعتبار صوري، بل لابد من تأسيس مجتمع على أساس قيمة كل فرد وأن لكل فرد كلمة وصوت مساو لكل فرد آخر بحكم تساوي النفوس لا تساوي الأجسام ولا تساوي الأموال ولا تساوي الأفكار ولا أي اعتبار آخر غير ذات النفس، والسعي يكون بهذا الاتجاه بالحق وفي حدود العدل المعقولة والمتطورة بتطور علم الناس وحساسيتهم حتى يصلوا إلى أعلى درجات الحساسية العيسوية "فلما أحس عيسى منهم الكفر" فيصير المجرد عندهم محسوساً والغيبي مشهوداً، وبتأسيس مثل هذا المجتمع المبني على حرية الأفراد ومساواتهم الأصلية لا يشعر الإنسان جوهرياً

بغربته في العالَم ولا بقطيعته مع الله إن كان من العلماء، وأما العالِم في غير هذا المجتمع فهو كاره للعالَم وضمنياً غير راض عن الله لأنه يرى ألمه في عمق نفسه وسجنه في حدود جسمه وخوفه مما حوله ولذلك يرتقب هذا الصنف من المستعبدين الذين لم يهاجروا مع روم زمانهم ولم يكونوا روماً بأنفسهم ولو كانوا من العلماء بدرجة ما يرتقب هؤلاء "نهاية العالَم" ولو فعلوا ما أمرهم الله به من الهجرة في أرضه الواسعة التي تسعهم بفرديتهم وحريتهم وعلمهم وكلامهم لتغيّر حالهم ولما انتظروا لا بقاء العالم ولا نهاية العالم بل لكانوا رسلاً أحراراً يتقلّبون بمشيئة الله ويُظهرون مشيئتهم التي هي ظل مشيئة الله ويرون قيمة أنفسهم في الوجود ومع الناس بشكل عام من الأحرار الأفراد مثلهم. اخرجوا من أدنى الأرض إلى أعلى الأرض، من الجزيرة وما حولها من بلاد المستعبدين إلى أمريكا بلد المتحررين المتفردّين. كونوا روماً لا تكونوا عبيداً.

الفكرة لأنها طارئة أي تكون بعد أن لا تكون، توجد بعد عدم وجودها، فهي مؤقتة. لذلك ربطها بالأجل المسمى كالخلق. فالفكرة مخلوقة، وكل مخلوق له أجل مسمى، فالفكرة أيضاً لها أجل مسمى بعده تنتهي قيمتها وتبدأ فكرة أخرى وهكذا. بناء على ذلك، من شأن الروم عدم تصنيم الأفكار وجعلها أوثاناً يعكفون عليها ولو

انتهت مدّتها أو وُجد ما هو أهدى منها وأعقل. ومن شأن المشركين تصنيم أفكارهم وعدم المرونة فيها والتحرك فيها مع الأحق والأهدى والأعقل. فكل فكرة تريد تحقيق مقصد ما، وهذا المقصد هو الحق المخلوق به هذه الفكرة، فإذا كان الحق المخلوق به هو حق عند الله فإنه سيتحقق في العالَم حتماً وهو نصر الله للروم والمؤمنين. وحين يتحقق المقصد ينتهي أجل الفكرة، ويأتي دور مقصد آخر وفكرة مختلفة. وهكذا في دورة لانهائية من خلق فكرة وإهلاكها. أي الفكرة تكون في النفس طالما أن حقها لم يتحقق وأجلها لم يأتي، فإذا تحقق وجاء أجلها فلابد من عدم النظر في الفكرة بعد ذلك في النفس أي إهلاكها من النفس، وهنا يقع المشرك صاحب الأصنام والأوثان في الخطأ، لأنه لا يريد التخلّي عن الفكرة التي اعتاد وجودها وأراحت نفسه بوجودها لفترة أو لأنه يرى مصالحه الدنيوية الظاهرية تقتضي استمرار تلك الفكرة، فيفرض إهلاكها بالرغم من أنها لم تعد الفكرة الأهدى والأعقل والأسلم والأحسن في الزمان الجديد والحال المختلف. المرونة في خلق الأفكار وإهلاكها من شأن الروم خلفاء الله في الأرض. لكن ليس خلقاً اعتباطياً ولا إهلاكاً عشوائياً. بل خلق بالحق وإهلاك بالأجل المسمى. فيعرفون سبب وجود الفكرة ولا يتبعون فكرة ويعتقدونها بدون معرفة سببها ومقصدها وعلتها، ويعرفون أجل الفكرة حين يأتي لأنه مسمى عندهم ويعرفون سمته ويدركونه حين يقع

فيتخلّون عن الفكرة بسهولة، لأنهم عباد الله وليسوا عبيداً لشمس فكرة ولا لقمر صورة. فالله يتجلى في الروح العقلي، والروح العقلي بذاته يخلق الأفكار فحين يُستَعبَد لها تنقلب الموازين ويقع التصنيم والتوثين. من هنا أيضاً أهمّية حرية الكلام في المجتمع السياسي، إذ من أهمّ بل أهمّ ما يقوم عليه حال عبيد أدنى الأرض أنهم يحافظون على أفكارهم من الإهلاك عبر منع الناس من التكلّم ضدّها إذ بالكلام وحرقه وجدله تتبينّ قوة الأفكار وصلاحيتها أي يتبينّ حقّها وأجلها ، فبمنع الكلمة والمعاقبة عليها وإرهاب المستضعفين من استعمالها في أمور معينة خصوصاً الأفكار المهمة التي جعلوها أوثاناً في أذهانهم وأصناماً في أجسامهم ومجتمعاتهم يحفظون بأكبر قدر ممكن وجود تلك الأفكار الباطلة والميتة. لذلك هم "أموات غير أحياء" وعيشهم في مجتمعاتهم هو عيش الموتى في المقابر، أموات يتحركون وعدم له ظل وجود ، قدرتهم على الخلق منعدمة أو تكاد ، فالعيش معهم وفيهم موت قبل الموت وموت أسوأ باعتبار من الموت. الذي لا يعرف حقيقة روحه العقلي وعيه المجرّد المتعالي فإنه يميل إلى تصنيم أفكاره، لأنه يرى تحقق عقله فقط بوجود الفكرة فيه، ولأنه يستشعر فقره العقلي فهو يخشى من التخلّي عن فكرة خوفاً من عدم قدرته على تكوين غيرها أو عدم معرفته لنفسه في مرآة غيرها ، فيعتاد الأفكار كما يعتاد الأهل والسكن والتجارة والأموال التي

يقترفها ولا يريد التخلّي عنها لما هو أعلى وأولى وأبقى. أنت تخلق الأفكار فلا تجعلها هي التي تخلقك. أنت تخلق الأفكار من أجل نفسك، فلا تجعل نفسك مستعبدك لفكرة من أفكارك. فالعقل الذي يخلق الفكرة ويعبدها يشبه طفلاً وضع لعبة مرعبة في غرفته ثم بكى بسببها وهاب الاقتراب منها. وكلامنا هنا بشكل أخص عن الفكرة الباطلة الأساس أو الحقة لكن جاء أجلها. للخروج من هذا لابد من الخلق بوعي، أي نقول بوضوح "الحق الذي انبنت عليه هذه الفكرة هو س، وحين يتحقق ص فقد جاء أجل الفكرة" وتكون الأمور مسماة وواضحة، ونعترف ونرى خلقنا نحن للفكرة ولا نكذب على الله ولا نبالغ ولا نزّور من أجل خداع الناس ولا الكذب على أنفسنا. نفسك أعظم من فكرتك، فلا تدمّر نفسك بفكرتك. بل الفكرة وسيلة للنفس للإشعاع في العالَم، فلا تطمس نور النفس من أجل فكرة هي أصلاً موجودة لإظهار النفس وتجلّيها في الخلق. من هنا تجده يذكر كفر كثير من الناس بلقاء ربهم وهم الذين لم يتفكروا في أنفسهم ولم يعلموا بأن الله خلق بالحق وأجل مسمى، فيوجد رابط بين تصنيم الفكرة في النفس وبين اعتقاد بقاء الدنيا إلى الأبد، فأنت تتعامل مع الدنيا كما تتعامل مع أفكارك، وستميل لذلك شعرت أم لم تشعر. لأن فكرتك هي الخلق داخل نفسك، والخلق هو فكرة خارج نفسك فكرة الله.

٩-{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجآءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.}

الآية السابقة، الثامنة، كانت سيراً في النفس. وهذه الآية عن السير في الأرض. السير في النفس بالتفكر، والسير في الأرض بالنظر. الرومي هو الذي يسير في النفس بالفكر وفي الأرض بالنظر. فيرى حقيقة العالَم بفكره ويرى حقيقة البلاد بنظره. فيجمع بين الملّة والمُلك، أو الديانة والسياسة إن شئت. لأنه يرى حقيقة وعاقبة العالَم بالسير في نفسه كما بيّنته الآية الثامنة، وهذه الآية تبينّ رؤيته لحقيقة وعاقبة الناس والبلاد والمجتمعات البشرية. فالرومي صاحب جمع يجمع بين مختلف الحقائق ولا يفرّق بينها ويأخذ بعضها ويترك بعضها وهو من فروع الوحدة الإلهية المطلقة التي يؤمن بها.

السير في الأرض خروج من أرض إلى أرض، أي من الوطن إلى الغربة، بل حقيقته أنه لا يوجد وطن أصلاً في الأرض وإنما هي أرض الله ومكوث الإنسان فيها مؤقت فكلها وطن باعتبار وكلها غربة

باعتبار آخر، فيختار الأرض التي يسكنها بناء على مقصد عنده وليس بناء على أي اعتبار خارجي ككونه نشأ في مكان فيثّاقل إليه أو غير ذلك من اعتبارات عرضية وسطحية. لذلك تذكر الآية بعد السير في الأرض المقصد منه فتقول {أولم يسيروا في الأرض فينظروا} ثم يذكر رؤية آثار الأولين والسابقين والعواقب التي انتهوا إليها بسبب تكذيبهم بالمرسلين. إذن الغرض هو النظر في ما انتهت إليه الأمم بسبب مواقفها العقلية والأخلاقية والسياسية لأن الموقف من المرسلين كان يدور حول هذه الأمور ونحوها، فلمواقف كل أمّة آثار، والنظر في هذه الآثار هو واحد من أهمّ أسباب السير في الأرض. بالتالي ليس المقصود حركة الجسم من بقعة جغرافية إلى أخرى، لكن هذا وإن كان فإنه وسيلة لتحصيل النظر والعبر وهو المقصود بالقصد الأول. وعلى الحقيقة السير في الأرض بهذا المعنى لا يمكن أن يكون إلا عبر سماع أقوال المؤرخين والنظر في التواريخ والسجلات التي تكشف عن الحوادث والمواقف، لأنه يستحيل جسمانياً أن تسير في الأرض فترى بعين حسّك كل ما تذكره الآية من قدوم رسل إلى أقوامهم بالبينات ثم كفر أقوامهم بهم ثم حلول الهلاك عليهم، فهذا لا يُرى كله بالحس إلا بمشاركة الكلام له إذ النظر الحسي يفنى لحظة بلحظة ولا يمكن معرفة مثل هذه الصور المركّبة للواقع والحوادث إلا عبر تخليد الكلام لها وذكره للمواقف والتفاصيل كما

يذكر القرءآن مثلاً قصة عاد وثمود وإخوان لوط ونحو ذلك. فأحد المعاني للسير في الأرض هو السير في القرءآن لأنك بالسير فيه بتلاوته تستطيع أن تنظر {كيف كان عاقبة الذين من قبلهم}. وبدون كتاب يحكي القصة أو وجود آثار كتابية مفهومة لا يمكن العلم بيقين ولا أحياناً حتى بتخمين ما الذي حدث في هذه الأرض أو كيف انتهى الناس في مكان معين إلى حالة معينة. بالتالي يجب للاعتبار بأحوال الناس من الحرية في التكلّم عن أحوال الناس والصدق في الإخبار عن أحوالهم أو على الأقل توفّر الأقوال المختلفة حتى يستطيع الناظر من تمحيص الأخبار والنظر في الأصدق منها والأقرب للعقل. فالأرض حين تُذكر مرّة يقصد منها الأرض المادية أي البقعة الجغرافية، ومرّة يقصد بها المجتمع البشري الذي عاش في أرض محددة، ومرة يقصد بها الناس أنفسهم بغض النظر عن البقعة التي تحت أرجلهم بسبب تنقلهم مثلاً المستمر. ولابد من تحديد المقصود من الكلمة في كل موضع وقد تجتمع المعاني من زوايا متعددة. فمثلاً حين يقول {أثاروا الأرض} فهنا الأرض هي البقعة الجغرافية، {عمروها} كذلك البقعة مع الإشارة إلى نوع من الاستقرار الاجتماعي في البقعة. والرسل يأتون بشكل رئيس إلى الناس وليس إلى الأحجار والمعادن الأرضية. فالكلام موجّه إلى الناس والرسالة لهم.

{عاقبة الذين من قبلهم} فالناس إما قبلك وإما معك وإما بعدك. لا تستطيع الاعتبار بمن بعدك لأنه بشكل عام في حكم المعدوم، ولا تستطيع الاعتبار بمن معك لأنك لا تدري عاقبته بعد فقد يكون في حال سيئة ثم ينتهي إلى حال حسنة، لكن الاعتبار الأعلى يكون بمن قبلك لأنك عرفت ما كان عليه بالأخبار الباقية ونظرت في عاقبته لأنك شهدت نهايته فتنظر في العلاقة بين مواقفه من قيم الرسالة والرسل وترى آثار ذلك على عاقبته. إلا أنك تستطيع الاستفادة ممن سيأتي بعدك بتصوّره في خيالك مما يجعلك تدرك شيئاً يفيدك كأن تعدّ له وتهيئ له عالماً أحسن يعيش فيه كما كنت تتمنى لو كان الذين من قبلك هيأوا لك عالماً أحسن لتعيش أنت فيه أو نحو ذلك من الاعتبارات. وكذلك تستطيع الاعتبار بمن معك من خلال النظر في حالهم الواقعي الآن الناتج عن اختيارهم ومواقفهم من قيم الرسالة، كأن تنظر في بلاد تطبّق مثال فرعون فترى العذاب والحقارة التي يعيش فيها الناس والإهانة لكرامتهم الإنسانية فتعتبر بذلك فتحذر من قيام فرعنة في بلادك وتراقب أسبابها وتحاربها جذرياً وفكرياً أو تحارب أسبابها لو بدأت بالظهور. لكن الإشارة هنا في الآية تتعلق بالاعتبار الأكمل بخصوص الذين كفروا وظلموا الرسل وكفروا البيّنات التي جا ءوا بها .

بربط الآية بما قبلها نعرف أن الكلام متعلّق بقوم قدّموا القوة والإثارة والعمارة المادية الدنيوية على القوة والإثارة والعمارة النفسية. أي ركّزوا كل همّهم على ظاهر الحيوة الدنيا ، لا على باطن الحياة الدنيا ولا على الآخرة الكبرى. لذلك قال {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} كما قال في الآية التي قبلها "أولم يتفكروا في أنفسهم". هذه الأنفس هي التي ظلموها ، لأنهم لم يهتموا بها وكان تركيزهم كله مقتصر على تعبيد الناس وتسخير أنفسهم من أجل مزيد من القوة والإثارة والعمارة الدنيوية حصراً، فأدى ذلك إلى إضعاف نفوسهم وضعف عقولهم وخراب قلوبهم، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى هلاك الإنسان الذي هو الأساس والمرجع في كل بناء ظاهري، وبهلاك الباني يهلك البناء بطرق مختلفة من الهلاك بحسب الطرق المختلفة في إهلاك الباني أي الإنسان لذلك تعددت قصص المرسلين بسبب تعدد طرق إهلاك الإنسان لنفسه وهلاكه الظاهري الناتج عنه.

{أشد منهم قوة} أي القوة العسكرية. {أثاروا الأرض} الثروة الزراعية. {عمروها} القدرة الصناعية. وهذه هي الاهتمامات الثلاثة الدنيوية لكل مجتمع، بغض النظر عن موقفه من النفس وقوتها وإثارتها وعمرانها ومركزيتها أو هامشيتها وفرديتها أو سحقها. لابد لكل مجتمع من قوة وإثارة وعمارة. لكن الفرق بين الأمة التي تؤمن

بالرسل والأمة التي لا تؤمن بالرسل هو الموقف من النفس ومكان النفس في المجتمع. فمثلاً، من أجل القوة العسكرية قد يتم تسخير العامّة وتحقيرهم واستعبادهم من أجل إقناع قلّة من الناس للانخراط في السلك العسكري عبر جعلهم أرباب لبقية المجتمع وفوقهم وأعلى منهم فيعوّضون القهر والصعوبة العسكرية بحس الاستعلاء والامتيازات المصاحبة لها، فتكون النتيجة خلق مجتمع عامّة الناس فيهم لا كرامة لهم ولا حرية لديهم وفرديتهم مكبوتة وأنفاسهم تحت أحذية الضباط مخنوقة. مثلاً، من أجل الثروة الزراعية قد يتم نشر فكرة أن الناس قيمتهم تدور فقط مع ما يحسنون انتاجه زراعياً ومالياً، فبدلاً من أن يكون المال في خدمة الإنسان يمسي الإنسان في خدمةالمال، فينطمس نور النفس وعظمتها وأولوياتها وتغرق النفوس في كآبة العدمية وتهوي في سحيق استشعارها أنها مجرد رقم يمكن استبداله بسهولة أو آلة يمكن الإتيان بخير منها بيسر، نعم، لفترة ما على الأقل ستزدهر الثروة الزراعية والمالية في البلاد لكن عاجلاً أم آجلاً كقوم شعيب مثلاً سيهلكون وستتغيّر الأمور وستبدأ تنشأ حركات تمرد عنيفة تريد إزالة النظام الاقتصادي القائم هذا كله وستجدهم يتحدثون عن أهمية الحرية والفرد والإنسان وغير ذلك لقلع جذور الاقتصاد القائم وكل ما يعتمد عليه وسيتحزب الناس ويعادي بعضهم بعضاً عداوة مصيرية وينظرون إلى بعضهم كمالك يريد

استعباد من تحته أو عامل يريد إبادة مالك الأرض والمعمل والشركة ونحو ذلك، وسيصبح المجتمع ساحة معركة بدلاً من أن يكون نظاماً لإظهار حرية النفس وفرادتها بتنظيم شؤون الجسم وأغراضه لتفريغ النفس لأعمالها الذاتية مثل التفكير والتعبير. وعلى هذه الشاكلة إعطاء الأولوية للقوة العسكرية والثروة المالية والقدرة الصناعية بدلاً من إعطاء النفس وحريتها وحقوقها الأولوية سيؤدي إلى الهلاك عاجلاً أم آجلاً ولابد من رضوخ المجتمع للتغييرات وإلا فالعنف سيقع والعذاب سيتصاعد والحرب ستشتعل، والنظر فقط في المائتين سنة الماضية ولما يحدث الآن كفيل بكشف ذلك لمن يريد السير في الأرض للنظر.

{جاءتهم رسلهم بالبينات} من الكفر اعتبار الرسل كالديناصورات وجودا وانقرضوا. القرءآن كله يبطل تحت هذا الاعتقاد، ولا قيمة للقرءآن كله بعد ذلك. لأن الرسل محور كل قصص وأمثال القرءآن، فبدونهم يسقط القرءآن عن الاعتبار. وتخيّل الرسل ككائنات خرافية خارقة، أو الاعتقاد بأن وجود رسل يعني بطلان القرءآن لأن كتب جديدة بمعنى وحي خاص سيأتي ويلغي القرءآن، هذا وغيره كله أباطيل صنعها منافقون وكفرة بالرسل من الأصل على طريقة آل فرعون الذين قالوا "لن يبعث الله من بعده رسولا"، فنهاية الرسل في

القرءآن لن تجدها مذكورة إلا وهي مقرونة بالفراعنة، وهذا معقول بنفسه لأن الفراعنة يبنون دينهم الأفضل وطريقتهم المثلى في اعتقادهم على أنهم خلف الرسل أو الآباء الأولين الذين قالوا كل ما يمكن قوله من الحق ومن يأتي بغير ذلك فقد جاء بما لم يأتي في الملّة الآخرة وهلمّ جراً. إن لم تشهد في الآفاق وفي نفسك حقيقة وصدق {جاءتهم رسلهم بالبينات} في عصرك فأنت كافر أو جاهل أو القرءآن باطل. فاختر أحبهم إليك. الحق أنه لكل أرض رسل، ولكل أمة رسول ليس بالضرورة واحداً لكن قد يكونوا أكثرمن واحد مثل "أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون" فكانوا ثلاثة، وهذا لا يعني أن كل رسول من الثلاثة جاء معه كتاب مختلف عن الآخر، فقد يكون من المرسلين ولا يأتي بكتاب مسطور أصلاً بل يتحدّث بكلام يبلغه الناس ويبينه لهم بلسانهم بغض النظر عن حاله بعد ذلك. المهم القيمة والفكرة التي يتم التعبير عنها وتبليغها. بل الحقيقة أن كل كلمة رسول، كل فكرة رسول، وكل إنسان من الروم رسول لأنه طالب كلام الله المطلوب لكلام الله والداعي في الأرض إلى الله بكلام الله وأمره وحقه وإذنه. كلام الله هو كل كلمة حق تقوم على بينة ومبنية على الفطرة، فكما أن كل علم في الناس هو تجلي علم الله وكل قوة لدى الناس هي إمداد من قوة الله إذ لا قوة إلا بالله، كذلك كل كلام الناس هو في حقيقته كلام الله ومن إمداد كلام الله لذلك تجد في

القرءآن الذي هو كلام الله كلاماً ينطق به الكفار أيضاً ولو كان "أنا ربكم الأعلى" حقيقة ذلك راجعة إلى ما ذكرناه. إلا أن كلام الله الذي يؤتاه الرسل بالمعنى الخاص هو الحق القائم على بينة والمبني على الفطرة لأنه كلام للإنسان بالتالي لابد أن يبينّ لعقله حجّته ولابد أن يوافق فطرته ليقبله ويكمله وينفعه. من هنا ستجد في سورة الروم ذكر {رسلهم بالبينات} و كذلك آية الفطرة "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم". فإن كان الكلام في ذاته أو بحسب تفسيره باطلاً أو لا بينة عليه أو يخالف الفطرة الإنسانية فهو ليس كلام الله ولو جاء معه جيش من الملائكة المقربين-حاشاهم. "كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"، وينفع روح الناس الحق وينفع عقولهم البينة وينفع نفوسهم الفطرة، وما سوى ذلك يضرهم. فأن لا تميّز الحق من الباطل بنفسك ضرر لك ومن أمثال ذلك فرعون الذي يجعل صدور الرأي منه لأنه منه فهو الحق وهو الرشاد فتجد في بلاد المستعبدين المحاربين للرسل-مهما تسموا-تعظيم للتقليد والخضوع للأب أو للأمير أو للحكام والقاضي وغير ذلك ولا يتعرّض له أحد بكلام ولو قال ما قال ويعاقبون على ذلك وبالضد من ذلك في بلاد الروم والأحرار تجد الكلمة حرة لنقد وجدل حتى الله تعالى "يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها" و "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

الدماء" فضلاً عمن دونه. وأن لا تعتمد على البينة بل تعتمد على قوة شخصية أو منصب أو نسب المتكلّم لأنه قريبك أو لأنه أنت حتى فهو ضلال وضرر من نوع آخر، ولذلك تجد في بلاد الروم ومن أطاع الروم وأخذ عنهم اقرار بالبينة وتعظيم لها وفتح الأبواب لظهورها والسعي بشدة لتحصيلها، وهذا لا يعني أن هوى النفس الأمّارة لا يتدخل لكن هذا هو الموقف الرسمي والاتجاه الأساسي المعترف به والذي لا يقوى على الحديث ضده إلا من يموه على الناس بأنه يتبعه عادةً. وكذلك كل فكرة تناقض فطرة الإنسان ككسر فرديته أو قمع حريته الكلامية أو عدم اعتبار إرادته أو رفض كرامته الإلهية أو منعه مما يلذ له نفسياً وجسمانياً مما يخصّه ولا عدوان فيه مباشر حسي على غيره، هذا وغيره كله مما يناقض الفطرة ولو جاء به مَن جاء، فهو ليس من الله قطعاً لأن الله رب الإنسان ورب الإنسان ينفعه ويربيّه ليصل إلى كماله لا ليبقيه مذلولاً حقيراً مهاناً متألماً، ولا يدعي مثل ذلك أصلاً إلا الظلمة الذين يريدون استغلال الناس لمصلحتهم هم ولذتهم هم ثم يلقون بكفرهم هذا على الله تعالى ورسله افتراءً عليه وعلى رسله ولا رسول حي لهم يتبعونه وإنما يتبعون أهواءهم بغير علم من الله ويشرعون بقياسات أذهانهم المبنية على سفاهتهم ما يشتهون ولو ظلموا واعتدوا وقهروا من بالمشرق والمغرب لوجدتهم يرتاحون لذلك ولا يطرف لهم جفن ويحسبون أنهم مهتدون. الإنسان أعظم من

الأديان وأعظم حتى من القرءآن، والقرءآن إنما جاء من أجل الإنسان لينفعه، فمن زعم أنه يكسر الإنسان حتى من أجل القرءآن-حاشاه- فإنه الكاذب لا القرءآن، وهو المبطل الظالم لا القرءآن. {فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}.

ستجد حين تسير في الأرض أناس لا ينظرون في عواقب الأقوام ولا يعرفون أخبارهم وآثارهم. من أجل هؤلاء عليك بإقامة مجالس تخصصها للنظر في التواريخ والاعتبار بها. "فاقصص القصص لعلكم يتفكرون". واربط القصة بهم وركّز على الفكرة التي فيها ولا تجعلها حكايات للتسلية لكن قصص للعبرة وإثارة الفكرة. وركّز على القصص التي تكشف عواقب من يفعل مثل فعل من تراهم من الناس إن كانوا يسيرون باتجاه معين، أو يعتقدون بصلاحية ونفع فكرة قد تبين بالنظر في التواريخ وآثار الماضين أنها لا تؤدي مطلقاً أو غالباً إلا إلى الضرر والشر والظلم، واقصص عليهم هذه وأخرج العبر لهم منها. ونبّه الناس على تواريخهم هم الشخصية، حتى ينظروا في أنفسهم فيروا كيف أنهم لو كانوا يعلمون بعض الأمور لغيّروا مسلكهم الشخصي فيعتبروا من ذلك إلى الدائرة الأوسع الاجتماعية، أو كيف أنهم كانوا يعتقدون بفكرة معينة ثم تبين لهم بعد تحققها أنها كانت شر لهم وهم يحسبونها خيرا لهم أو كان الخير الأعظم في

غيرها مما رفضوه لأسباب مخصوصة وهمية وبينّ لهم سبب ذلك وكيف كان بامكانهم اكتشاف وهميتها فيما مضى ثم حدد لهم المعايير التي يستطيعون فيها تجنب ما يقومون به اليوم مما يشبه ما قاموا به بالأمس ولم يعتبروا بأنفسهم. الذي لا يعتبر بتاريخ نفسه كيف سيعتبر بتاريخ غيره. من إظهار قيمة تاريخ الذت تستطيع تأسيس قيمة تاريخ الغير.

{كانوا أشد..عمروها أكثر} حين تقيس الأضعف على الأقوى سيعتبر الأضعف بالأقوى. لأن القياس إما قياس أضعف بأقوى وإما قياس مثل بمثل وإما قياس أقوى بأضعف. فإن قست الأضعف بالأقوى وحذّرت الأضعف من مصير الأقوى كان ذلك أدعى للقبول وهو أقوى قياس وإنذار وهو الذي أشارت له الآية. ثم تحته في الفعالية قياس المثل بالمثل. ثم تحته وقد يبطل أثره بالكلية إن غابت العلة المشتركة هو قياس الأقوى بالأضعف لأن الأقوى بكل بساطة سيرد عليك "نعم ذاك هلك لأنه كان أضعف مني وأما أنا فلن أهلك لأني أقوى منه ولن يضرني ما تشير إليه بسبب توفر قوة لدي لم تكن عند من تقيسني به" وهو رد قوي جداً كما ترى. من تطبيقات ذلك على عرب أدنى الأرض في زماننا أنك تجدهم كلهم أقاموا إما فرعنة ظاهرة وإما فرعنة مبطنة تحت لباس عسكري قومي والمحصلة واحدة فالدولة إما

بيد أسرة يرجع لها العسكر وإما بيد العسكر أنفسهم. فمن إنذارهم أن تشير لهم إلى دول كانت أقوى منهم من كل وجه عسكري ومالي وصناعي وعالمي بل وديني أيضاً بتعريفهم هم، كالدول الأموية والعباسية والفاطمية والصفوية والزيدية والعثمانية وغيرهم من فروع الممالك التي قامت وسطهم ثم تنبههم إلى أنهم يقيمون نفس الأمر الآن بل بنحو أضعف من جهات كثيرة، فتحذرهم وتنذرهم من هلاكهم وإهلاكهم لقومهم معهم وتعذيبهم لهم فهو من باب إنذار الأضعف بالإشارة إلى الأقوى الذي هلك وهم على شاكلته بل أسوأ منه في الضعف والخفة والسخف، فالذين كانوا يملكون البلاد في ثلاث قارات هلكوا أمام أعينكم وتعرفون أخبارهم، وهلك عن قريب من كان مثلكم تماماً ولم يحكي لكم التاريخ عنهم بل كنتم تعيشون وسطهم وأنتم منهم أو قريب منهم، فمن أين تظنون أنكم ستبقون وتقوون وهذا هو الحال والعوامل المؤدية إلى الهلاك هي هي باقية وفعالة، والكفر بكل قيم الرسل الكبرى قائم فيكم والظلم يغطّيكم كالليل إذا يغشى. فهنا نجد قياس الأضعف بالأقوى وقياس المثل بالمثل. وعلى هذا النمط حين تخرج إلى الناس ابحث عن من هم أقوى منهم أو من هو مثلهم عموماً حتى تستعمل ذلك كمثال لتقريب الفكرة لهم وإظهار العاقبة لهم.

{فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}. كونه افتتح الآية بنفي ظلم الله لهم دليل على أنه سيوجد من الناس مَن يرمي الله تعالى بأنه الذي يظلم الناس، أي سينسب إهلاك الأقوام أو حتى ينسب كفر الأقوام بالرسل وبيناتهم إلى الله، وهو منطق الجبرية الكفرة الذين ينسبون ظلمهم هم إلى الله تعالى، وستجد الكثير من المستعبدين يفعلون ذلك لأنه ليست لديهم الجرأة لنسبة الظلم إلى مصدره الحقيقي أمام أعينهم وهم أربابهم وحكامهم فبدلاً من ذلك يتجرأون على مَن ألحدوا به من قبل ولو خفية فينسبون إلى الله تعالى أنه الذي ظلمهم ويظلمهم بخلقهم أو بتركه الظلمة يتحكمون بهم أو بعاقبة مجتمعاتهم السيئة أيا كانت وهكذا بدلاً من تحمّل المسؤولية الفردية والفعل في العالم اعتادوا على ذهنية العبيد التي تتجرأ على الحليم وتخضع لمن يُنزل بهم العذاب الأليم ولأن الله حليم وليس شخصاً أمامهم يذيقهم الحديد والنار والعصا والكرباج على طريقة سادتهم وكبرا ءهم الذين يقمعونهم ليل نهار ولو نطقوا بحرف خارج الطريق، لذلك تجدهم يتجرأون على الله وينسبون له الظلم بدلاً من نسبته لأربابهم ولأشخاصهم. لذلك إبادة الظالمين من أهم وأولى أعمال الروم وهو قام به النبي والذين قاتلوا معه حين رجعوا إلى فراعنة مكة وقطعوا دابرهم، كذلك يجب أن يكونوا الحال في كل عصر، يجب على الروم الخروج لقتال كل بلد يتحكم في رقاب الناس

فيها الطغاة وتحرير الناس منهم واجب إنساني وشرعي ورباني عليهم، "مالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا" الولي النصير لهؤلاء هم الروم الذين نصرهم الله وسينصرهم ويجعلهم الغالبين. الناس هم الناس في كل مكان بدليل "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"، بالتالي ما يظهره المستعبدين من أمراض وأقوال ناشئة من مرضهم الذي هو استعبادهم إنما هو عرض طارئ لا يجب مؤاخذتهم عليه كثيراً لكن يتبينّ مقام كل إنسان حين يتحرر ويتفرد. من هنا يجب السعي لقطع دابر وقطع أيدي الطاغين في كل مكان، ومعيار البلد المقهور عدم حرية الكلام ووجود وراثة للحكم وعدم إقامة الدولة على انتخاب الناس الصحيح وتحكّم الجنود والعساكر بالدولة. فأي مكان توجد فيه هذه الأمور أو بعضها هو مكان يجب على روم كل عصر ومن يطيعهم تغييره، ولا ينتظرون أي عدوان خاص من هؤلاء عليهم لأن هؤلاء يعتدون على أقوامهم وأي نظام قام على قهر جازت إزالته بقهر مع اتقاء إيذاء الأقوام من غير المقاتلين والمجبورين على القتال بأكبر قدر ممكن. إبادة الطغاة من تسبيح وتقديس الله. ألا ترى أن المظلوم يشتم ربه ويذمّه بسبب الحال الذي هو عليه وينكر خيرية العالم ونوره بسبب الظلام الذي يعم حياته

بسبب الطغيان الواقع عليه، فحين تسعى لإزالة السبب الذي جعله على هذه الشاكلة فأنت تعينه على تسبيح الله وتقديسه. محاربة الطغاة ساعة خير من عبادة سبعين سنة.

١٠-{ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون}

{ثم} أي قد يبقى الظلمة الذين رفضوا الرسل فترة لكن هلاكهم حتمي ولو بعد حين. مما يعني أن ظهور العاقبة ليس بالضرورة أن يكون فورياً، ويمكن للعقل اكتشاف وجود عناصر الهلاك وعلامات العاقبة من النظر في صورة الأمر وحقائق ما يقوم عليه وهي البصيرة والنظر بنور الله ومعرفة السنن التي أقام الله عليها العالم والمفصّلة في كتابه أيضاً.

{كان عاقبة} أي قضى الله من قبل ظهور العاقبة أن العاقبة ستكون هكذا، فهي من مستوى السنن التي وضعها الله لحكم العالَم وحوادث الناس إذ لا تتبدل ولا تتحول مما يعني أنها ليست من الطبيعة إذ ما في الطبيعة يتبدل ويتحول، كالقرءآن له حقيقة علوية لا تتبدل ولا تتحول لكن له صورة يمكن تبديلها وتحويلها كألفاظه العربية التي

يمكن تحريفها بالنطق وبالكتابة وبالفهم ويدخلها الريب وأما حقيقته العلوية فلا ريب فيها. كذلك الأكوان وكذلك الإنسان. يوجد مستوى تكويني ما فوق التغيرات الطبيعية والبشرية، وهو المستوى الذي فيه السنن الإلهية. فمن عرفها هنا ورأى تنزلها وإشعاعها عرف عاقبة ما سيحدث قبل حدوثه وإتيان تأويله. لا يوجد صغير ولا كبير يقوم به إنسان إلا وهو خاضع لسنة من سنن الله، فهو مسؤول عن فعله لكن العاقبة حتمية، فالذي يختار وضع النار على جلد وجهه مسؤول عن حرق نفسه ولكن الحرق نفسه مقضي من قبل بحكم العلاقة بين النار وجلد الوجه الطبيعي. لذلك من يعرف النار ويعرف طبيعة الجلد يستطيع حتى من قبل رؤية الوجه يتشوه ويحترق أن يخبر بعاقبة هذا الفعل الظالم الذي يوقعه الإنسان على نفسه. هذا مثل بسيط لكن أصله هو نفس الأصل المنطبق والحاكم على كل الصور الأكثر تعقيداً وتركيباً. عرفها من عرفها وجهلها من جهلها. ومن هنا تجد في كتاب الله بيان الأعمال وعاقبتها، العمل الصالح والعمل الفاسد. لأن كتاب الله العربي هو تنزيل وترجمان لكتاب الله الكوني وتيسير له بلسان قوم النبي.

ما سبب العاقبة البالغة السوء إذ "السوأى" مثل الحسنى في "الأسماء الحسنى" أي البالغة النهاية في الحسن؟ الكلام هنا عن

أسوأ السوء الذي هو {أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون}. فالبينات آيات الله، فكل من جاء بالبينات وآيات الله فهو رسول بغض النظر عن مصدر أخذه لهذه البينات وآيات الله، وللرسل درجات يفضل بعضهم فيها بعضاً كما قال الله "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض"، وأحد أسباب التفضيل مصدر أخذ الرسالة، فمن أخذ الرسالة بدون واسطة بينه وبين الله أعلى ممن أخذها بواسطة، ومن أخذها بواسطة واحدة أفضل ممن أخذها بثلاث وسائط، وهكذا ، وتوجد أسباب أخرى للتفضيل تتعلّق بسعة الرسالة ومستواها ، وكذلك تتعلّق بقلب الرسول ومقامه عند الله ودرجته. فقد تكون الرسالة ذات بيان لحادثة جزئية فقط مثلاً تجد لوط تختص رسالته بمعاني محدودة كقطع السبيل وإتيان الرجال شهوة من دون النساء لكن لا يتحدّث لوط عن الأصنام كإبراهيم أو الكيل والميزان كشعيب، لكن محمد الذي هو خاتم النبيين يأتي بكل هذه الجزئيات مع ذكر السنن الكلية أيضاً. وهذا لا يضر الرسول الجزئي في شيء لكن الكلام عن التفاضل بين الرسل حتى لا يظن شخص أن الرسول لا يأتي إلا كمحمد بكل جزئية وكل كلية وبعين الكلمة الإلهية، كلا ، لأن بعض الرسل جاء وتكلّم بكلام من عند نفسه لكن كلامه هذا هو صورة وحي الله ليس بمعنى الوحي القرآني لكن بمعنى كونه تجليات للوحي الذي أوتيه الرسول، فحين يتحدث نوح مع قومه ويجادلهم فإن

كلامه معهم هو كلام رسول وإن كان الحوار ذاته كلام نوح "قال نوح" وهكذا.

{كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون}. للسيئات دركات كما أن للحسنات درجات. أسوأ سيئة وهي أسفل دركة هي التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها لذلك سمّاها {السوأى}. لماذا؟ لأن النفس لها درجات ولكل درجة دركة تقابلها، وأعلى ما في النفس هو سرّها الإلهي، وتفعيل سرّها الإلهي يكون بسماع كلام لله الحي وأخذه منه، فلمّا كذّبت نفوس بآيات الله دل ذلك على انطماس عينها الإلهية، لكن لمّا زادت على ذلك بالاستهزاء بها دل على سقوط النفس تماماً عن أي بُعد غيبي وروحي ورباني بالتالي هوت إلى ضد درجتها العليا فصارت في الدركة السفلى التي هي {السوأى}. الاستهزاء دليل استحكام الرفض بحيث لم يبق أصلاً مجال للتغيير والقبول.
كون عاقبة الذين كذبوا بآيات الله هي من فعل الله دليل على إخراجها من سلطة الإنسان، بمعنى أن عاقبتهم هذه ستكون من فعل الله بهم بغض النظر عن فعل الرسل بهم إلا فيما يتعلق بالعدوان على الناس فهذا يفعله الله بالرسل "يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم". فالتكذيب بآيات الله مع عدم الاعتداء على الناس نفوساً وأموالاً يجعل العاقبة مختصة بفعل الله دنيا أو آخرة، لكن وجود

اعتداء على الناس يجعل العاقبة بفعل الله مباشرة أو بفعل الله بأيدي الروم. وهنا أشارت الآية إلى الصنف الأول، أي كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءؤن، فلم يذكر غير التكذيب والاستهزاء وليسا عدواناً على النفس والمال لكن موقف من الله ورسالته، لذلك ذكر فعل الله بهم "فما كان الله ليظلمهم". بالتالي الناس أحرار في التكذيب والاستهزاء في الدنيا، وهو حرية كلامهم ودينهم، لكن الله هو الذي سيحاسبهم على ذلك، مما يوجب على الرسل عدم التدخّل في الأمر بأكثر من الإتيان بالبينات والبلاغ المبين والإنذار أي بالكلام. فسترى حين تخرج وتسير في الأرض أناساً يكذبون بآيات الله ويستهزءون بها، لا تجزع ولا تفزع ولا تغيّر ما أنت عليه من السير والدعوة إلى الله، فالله أنبأك بهذا من قبل وأنبأك بالأمر كله من أوله إلى آخره وظاهره وباطنه.

١٢-{الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون}

كما أنك تخلق الفكرة ثم يأتي أجلها ثم تخلق فكرة أخرى، كذلك الله يخلق أقواماً ويتركهم حتى يظهر آخر ما هو كامن فيهم فإذا جاءت عاقبتهم وأهلكهم ولم تسمع لهم ركزا جاء بقوم آخرين وهكذا تدور دورة الحياة الإنسانية. الشيء الوحيد الذي يستمر ويبقى هم

رسل الله ومن اتبعهم، كنوح ومن معه الذين بقوا لأنهم مع نوح وجاء الطوفان وأهلك القوم، وهكذا مع كل رسول ستجد الله يذكر نجاته ومن معه من المؤمنين وهلاك قومهم. فيوجد عنصر مستمر باقي وعناصر فاسدة هالكة في الناس. الباقون هم الرسل، الهالكون أهل الجهل. ويبدأ الله الخلق ثم يعيده مرة بعد مرة إلى أن يبلغ الناس أقصى ما يمكن مما قضاه الله لهم ويتم نورهم ويأتي أجل الدنيا ثم تأتي دورة الآخرة الأبدية، فيتم الخلق بالزوجين أي الدنيا الفانية والآخرة الباقية، فكما خلق الليل والنهار والذكر والأنثى وكل الأضداد كذلك خلق الدنيا الفانية والآخرة الباقية. ولأن الرسل فيهم عنصر الآخرة ونورها وهم حملة الكلمة الباقية فإنهم يبقون ومن كان معهم يبقى ببقائهم وهم يبقون بإبقاء الله لهم. فلا يزال الخلق ينتقلون من طور إلى طور أعلى منه إلى أن يبلغ الناس غايتهم التي قال الله فيها للملائكة "إني أعلم ما لا تعلمون" ثم بعد ذلك ينتقل الأمر من طور إلى طور أدنى منه حتى يصلوا إلى "إن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا" فيأتي أجل الدنيا كما أن الإنسان ينمو من الضعف إلى القوة ثم يرجع إلى الضعف والشيبة فالموت ولذلك ستجد ذكر هذا الأمر في سورة الروم. بناء على ذلك، لابد من تحديد عناصر البقاء هذه والأخذ بها والمحافظة عليها وحمايتها، وتحديد عناصر

الفناء والسعي في إبطالها ومحاربة ظهورها. مثلاً، قال الله أنه لا يهلك قوم إن كان فيهم "مصلحون" بالتالي فتح أبواب الإصلاح وترك مجال الإصلاح مفتوحاً لمن يرى أنه مصلح بسلام وإيجاد وسائل لإحداث الإصلاحات التي يراها الناس بسلام ونظام هو من عناصر البقاء، وبعكس ذلك إغلاق بوابات الإصلاح ومحاربة المصلحين والمتكلّمين بالإصلاح كالرسل وجعل الإصلاح ممكناً بالعنف فقط سبب تحكم البعض بمقاليد القوة في المجتمع واحتكارها هو من الخطأ ومن عناصر الفناء. ولذلك انظر في أي مكان يفتح بوابات الإصلاح التي على رأسها حرية الكلام ووضع اجراءات لانتخاب القرارات التي يُراد تطبيقها في المجتمع مع ترك الناس عامة أحرارا لهم حق عرض ما يرون من فساد لمحاربته وعرض ما يريدون من إصلاحات وتجربتها وستجد أن هذه البلاد أكثر استقراراً وبقاءً وأمناً وسعادة نسبية من غيرها، والعكس بالعكس. وعلى هذا النمط انظر في بقية عوامل البقاء والفناء واعمل على وضع أوتاد راسخة لجبالها في البلاد حتى تستقر ولا تميد البلاد بأهلها. ومدار البقاء على ترك أبواب تعبير العقل عن فكره مفتوحة ووضع آليات منظمة سلمية لتحديد إرادة أكثر الناس لتطبيقها وتجربتها، وانظر في كل عوامل الفناء وستجدها تناقض هذين الأمرين ولا تستقيم بدون مناقضتهما. فهذا هو الأساس. ثم على هذا الأساس ينبني عامل البقاء الأعلى الذي هو

التصديق بآيات الله طواعية بدون إكراه، وتعظيم شعائر الله حباً وإيماناً لا عن خوف وتقية من البشر وقهرهم وإرادة الاندماج في قطيع بهائمهم.

حين يترك الروم بلادهم الأولى ويسيحوا في الأرض سيجدوا أنهم تخلّوا عن أهلهم ومسكنهم وتجارتهم وأموالهم أي الثمانية التي ذكرها الله في آية "قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله"، كلها أو بعضها لابد من تغيّره ولو مؤقتاً. أي سيعيشوا تجربة فناء عالَمهم الأول وبداية عالَم جديد، فحتى يطمئنهم الله هم ومن اتبعهم قال {الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون}، فالذي بدأ خلق عالمكم الأول سيخلق لكم عالماً ثانياً جديداً وهو أهون عليه، وإن كنتم قد وجدتم شيء من الاستقرار والأمن والأهل والمال وقد بدأتم معيشتكم في بلدكم الأول وأنتم لا تعلمون ما تعلمونه اليوم ولا تقدرون على ما تقدرون عليه اليوم، فمن باب أولى أن تؤمنوا وتتوكلوا على الله بأنه سيدبر لكم لا أقل مثل ما كنتم عليه أو خير منه وقد صرتم رسلاً له ودعاة إليه. وتذكروا دائماً أنكم {ثم إليه ترجعون} فبقائكم في الدنيا أصلاً مؤقت على أية حال، فعيشوا حياة مسافر لا حياة مواطن فإن

الدنيا ليست موطنكم وأنتم تعلمون ذلك إذ تعلمون أن "كل نفس ذائقة الموت" وأنتم تذوقون شيئاً من الموت بالليل والنهار بمنامكم فلا داعي للخوف إذن من الموت لا الموت بمعنى ترك الأهل والمال والسكن الأول وقد قرنه الله بالموت في قوله "اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم"، ولا بمعنى ترك الدنيا الحتمي بحكم "لكل أجل كتاب".

إن قيل: لكننا نرى الذين أساؤا يعيشون قبل انتقام الله منهم. فالجواب {الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون} فالذي يظهر لك أنه نجا في الدنيا حسابه في الآخرة. وليس عليك شيء من ذلك أصلاً لأن حسابه على الله الذي كذب بآياته واستهزأ بها. وأما إن اعتدى عليك فعليك السعي للانتصار منه "وانتصروا من بعد ما ظلموا" ولا تحيله على الآخرة خصوصاً في الأمور الكبيرة التي تخص الناس عامة، وحين يعمّ الظلم يجب الانتصار من الظلم ولا مغفرة فيه عن عجز، وإنما تصلح المغفرة حين يعمّ العدل والإحسان ويكون الاستثناء هو الظلم فقد تغفر وتغفر عن قوة وقدرة لا عن عجز وتخاذل وكسل واحتقار للنفس. فإن سعيت في الانتصار ممن ظلمك ثم عاجله الأجل في عينك ولا ترى أنك انتصفت منه فتعمل على الانتصاف منه بكل سبيل ولو بذكر ظلمه لك وتخليده في الأرض بكتابته وحكايته للناس، ولو بالدعاء عليه بعد موته، ثم يشفي صدرك علمك بأن الله

يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون. وأما استعمال مثل هذه الآيات لتخدير الناس المستعبدين عادةً، فإن الظلمة لا يحيلون أحداً على الآخرة بل ينتصفون منهم ولو بالظلم والشهوة في الدنيا والآن ولكنهم يعلّمون عبيدهم والخاضعين لهم الإحالة على المنطق الجبري أو الإحالة على الآخرة وحساب الله حتى يعتادوا على الذل والقهر وعدم التحرر وإقامة القسط. إبادة الدنيا كلها من أجل الانتصاف من الظالم أجمل وأهون من البقاء على الظلم. ولا يغرّنك ما يخدّرك به ويسحرك به كهنة وسحرة الظلمة من فكرة الموازين ويجب تحمل الضرر الأدنى والخاص من أجل الخير الأعلى والعام، فهذا كلّه في أحسن الأحوال كلمات حق يراد بها باطل وظلم، والحق الواقع هو أن الظلم عمّك أنت وغيرك فالضرر ليس خاصاً أصلاً بل هو عام وجذري هذا أولاً، وثانياً أنت تنتصر ممن ظلمك كما تقتضي فطرتك وكما أمرك ربك وإن حاسبك الله-ولن يحاسبك-على انتصارك ممن ظلمك فاقرأ عليه "وانتصروا من بعد ما ظُلموا". من استعمل عقيدة الآخرة لتذليل الناس في الدنيا فهو كافر. ومن استعمل عقيدة الآخرة من أجل تبرير كسله وتخاذله فهو كافر. وكل ما سيقع عليه يستحقه وما ظلمه الله ولكنه ظلم نفسه، وإن كان يستحق النصرة والشفقة بسبب الظلم الواقع عليه فإنه بعد تبريره وتحريفه الآثم هذا يستحق اللعنة لا غير.

١٣-{ويوم تقوم الساعة يُبلس المجرمون}

الساعة الصغرى قيام الروم في الأرض وإظهار كلمتهم وقوتهم، لأنهم يقومون بإظهار تأويل القرءآن وتأويل الأكوان وتأويل الإنسان وتأويل أسماء الرحمن، وبظهور التأويل وكشف الحقائق س"يُبلس المجرمون"، والإبلاس فيه معنى السكوت واليأس والغمّ، والجرم هو القطع، فالمجرم المنقطع عن نور الله سيسكت لظهور حجّة الرسل وييأس من تغيّر حاله إن كان كفره متأصلاً فيه وسيعيش في غمّ ينزل خاصّة حين يقوم الرسل في الأرض ويظهرون الدعوة كقذف الله للرعب في قلوب الذين كفروا نصرة لرسوله.

قبل قيام الساعة كان المجرمون يقولون ما يشاؤون من أباطيل وليس من يرد عليهم حق الرد، يدعون الدعاوي العريضة على الله وعلى الحق وليس من يحتج عليهم حق الاحتجاج، يطغون ويؤذون الناس والمسلمين والأولياء وليس من يدفعهم ويقوم في وجوههم، كل هذا سيبطله قيام الروم الجدد.

١٤-{ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين}

من تأويلات هذه الآية أن المنافقين من بين المسلمين الذين يزعمون أن العلماء والأولياء الأولين هم شيوخهم وأساتذهم وسادتهم الذين تعلّموا منهم، سيظهر بالحجج البينة بطلان ذلك أي لم يكن لهم من شركائهم شفعاء بل أولئك الأسلاف الصالحين قولاً وفعلاً ضد ما عليه المنافقين المعاصرين. ثم سيظهر أيضاً أنهم كانوا بشركائهم كافرين على التحقيق وإن أظهروا باللفظ أحياناً أنهم بهم مؤمنين ولهم متبعين ومحبين، سينكشف كفرهم حتى بهؤلاء للناس. فالواقع أنهم كانوا أفراداً يقولون ويفعلون ما يشتهون بحسب ما يرون هم لكنهم كانوا يتمسحون لخداع الناس بعباءة الأسلاف ويزعمون أن الأسلاف الصالحين معهم، ثم هم في الواقع لا يؤمنون حتى بأولئك الأسلاف بل هم ملاحدة في واقع الحال وطغاة لا يعرفون شيئاً إلا الطغيان ولا يريدون غيره، والشركاء ذريعة فقط استعملوها لأنهم استطاعوا تحريفها ورسمها بصورة أضلّتهم عامّة المسلمين وكذبوا على الناس وسحروا أعينهم واسترهبوهم حتى لا يروا الأمر كما هو وحتى تعميهم عاطفة التعظيم لأولياء الله والصالحين من معرفة كذب الدجالين الطاغين هؤلاء. فالحق أن الطغاة دائماً أفراد لا يؤمنون إلا بشهوتهم ولا يعتقدون إلا بأنفسهم، ويستعملون في سبيل ذلك كل شيء كان شركاء ماضين أو سماويين أو ما كان وحتى الكذب والافتراء على رب العالمين. فحين يقوم الروم ويظهروا هذه الحقائق سينكشف

ويتعرى هؤلاء ويظهروا على ما هم عليه وهو أنهم أفراد طغاة لا سند لهم إلا الكذب والعنف، وحينها سينقلب عليهم الناس ويفعلون بهم الأفاعيل المناسبة لهم ويقتصّون منهم على ظلمهم وبغيهم وظلامهم وإضلالهم.

١٥-{ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون}

فالإبلاس أولاً وبعده التفرّق. لأنه سيظهر كما قلنا حقيقة كل فريق وفرد، وسيتم الحكم على كل واحد بحسب حقيقة حاله كفرد وعمله المشهود الآن وكلامه المنطوق الآن، وخداع الانتساب إلى الماضين والموتى والمعدومين وتمويهات ذلك كلها ستبطل، وسيتحاكم كل قول ببرهانه الحاضر الآن وكل عمل بحسب صورته وفعله الآن. فيتفرّق الكل عن الكل ويتميّز الكل عن الكل حتى يبقى كل فرد على فرديته الأصلية "جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة"، وسيصبح التعامل مع الفرد بسبب ما هو عليه لا بانتسابه إلى نسب أو طائفة أو قوم أو ملة أو أي شيء آخر غير نفسه هو وكل ما كانوا يحجبون فرديتهم الأصلية وراءه ويختبئون وراءه من حجب وحصون وألفاظ ستزول ويبقى كل واحد عارياً مشهوداً أمام الكل على ما هو عليه.

١٦-{فأما الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون}

الإيمان يجعلهم في روضة، والعمل الصالح يجعلهم يحبرون. فالروضة أرض لها ماء ونبات، ويحبرون فيه معنى سماع الصوت الحسن وفيه معنى الحبر الذي منه الأحبار أي الكتابة وفيه معنى السرور والطرب، وكل ذلك صحيح. أما الإيمان فإنه علم وشهود والعلم ماء وشهود المعلوم في الخارج هو النبات لأن النبات ظهور الشيء بالماء من تحت الأرض أي الخفاء إلى الخارج فهو رمز الشهود والعلم حياته كالماء حياة النبات. ويتفرع على ذلك سماع الصوت الحسن الشامل لمعاني سماع كلام الله وكلام أهل الله وكذلك سماع مدح المؤمنون له وشكره على ما هو عليه وما يقوم به، وفيه معنى فيض الله عليهم ليكتبوا وينشروا علمهم وكلامهم بحرية كاملة، وهذا كله سيجعلهم في حال سرور وطرب وفرح بالله وبرحمته والحال الطيبة التي هم عليها بعد الظلام والقهر الذي كانوا يرزحون تحته.

١٧-{وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقآء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون}

محضرون اليوم إذ سيحاسبهم الناس على كل قول يعلنونه بالرد عليه بالكلام ولن يسكتوا عليهم بعد الآن، وسيذمّونهم بحرية تامة على كل فعل يفعلونه وكل خُلق يظهرونه، وكذلك إن اعتدوا على أحد ظلماً أي اعتدوا على أحد بسبب قوله أو دينه أو نسبه أو لونه أو أي شيء من هذه المظالم التي هي شائعة عند المنافقين ودينهم المزور سيردّ الناس عليهم ذلك بالعقوبات العادلة والصارمة بعد أن كان الناس يسكتون عن ذلك ولا فعلون شيئاً إما خوفاً وإما جهلاً، فالخوف سيزول بقيام الروم لأنهم سيبيدون أسباب الخوف ويقطعون رأس الخوف وكل من يريد الطغيان على الناس ونشر الخوف الآثم، وكذلك سيزول بقيام الروم الجهل لأنهم سيكشفون كل شيء ويبينون كل شيء وينشرون العلم في كل مكان والكتب وستقام المجالس في الأرض وتعمر المساجد والأماكن كلها بالحوار والجدل والكلام عن كل شيء بدون قيد خارجي أو شرط موضوعي بل في كل مكان مناسب وعام بنحو منضبط يضمن كلام الكل وكذلك في كل مكان خاص وبيت خاص سيجتمع الناس بدون تقية ولا خوف ولا وجل وسيقيمون جماعات وطوائف من كل لون وشكل دفاعاً عن ما يعتقدون أنه الحق والأحق وكل هذا سيجعل الذين كانوا يعتمدون على خنوع الناس تحت أرجلهم {في العذاب محضرون} من كل وجه.

١٨-{فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون}

فمن أراد أن يكون في الفريق الأول أي الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات فليعرف هذه الحقيقة التي هي {سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون}، التسبيح متعلّق بالحين، لكن الحمد كما سيأتي في الآية التالية متعلّق بال"في" و ال"حين". الحين زمان، الفي مكان. الصباح والمساء مظهر تغيّر الزمان وقسمته، لكن الله تعالى على الزمان فلا صباح لديه ولا مساء لأنه ما وراء الزمان، فهو واحد أحد لا يتعدد ولا ينقسم ولا يتغيّر في حقيقته المتعالية.
حين تمسي وحين تصبح تذكّر التسبيح. أي حين تتغيّر تذكر الذي لا يتغيّر. فالعالَم باعتبار علامة معكوسة لله تعالى، فكل ما عليه العالَم فالله بخلاف ذلك ومن هذا الوجه العالَم مرآة عكسية لله. فحين تشهد العالم أنت تشهد الله باعتبار ما، أي ما أثبته العالم فهو منفي عن الله، وما نفاه العالم فهو ثابت لله. فثبت للعالم الحدود والله لا محدود، ونفى العالم الإطلاق والله مطلق. أثبت العالم التغيّر والأضداد، والله ثابت الحقيقة في ذاته ووحدته الذاتية القهارية لا يضادها شيء لأنه لا يوجد غيره ولا ما هو خارج عنه ليضاده.

الجمع بين الله والعالَم فعمل واحد يقوم به الإنسان يدل على جمع الإنسان بين الحقيقة الإلهية والصورة العالمية، وهذا العمل هو التسبيح. ف{سبحان الله} يكشف عن وجود سر فيك مسبَّح ومنزّه عن تغيرات الزمان أيضاً ولولا هذا السرّ لما استطعت أن تسبّح الله ولا أن تعقل أصلاً ما معنى تسبيح الله فضلاً عن ممارسته وتحقيقه. لكن كونك مقيّد ب{حين} له أضداد {تمسون..تصبحون} دليل على صورتك العالمية واشتمالك على المتغيرات. فأنت الثابت المتغيّر، المطلق المقيد، المُسَبَّح النزيه والسابح الشبيه.

من آثار القيامة الصغرى والبلاد التي قامت فيها هذه القيامة الصغرى أنها لا تنفي شيئاً من حيثيات الإنسان وأبعاده، بل كل حقيقة ثابتة للإنسان سيُعتَرَف بها ويتم تفعيلها من أعمقها غيباً إلى أبرزها حِسّاً. كل ميل ولذة وشهوة ومتعة وقدرة ورغبة وكل شيء سيتم إثباته وتقريره والسعي لتحقيقه وتفعيله. لن يُكفَر بالإنسان بعد الآن، ولا بشيء من الإنسان، لن يُقمَع شيء فيه ولن يواري ولن يداري ولن يحابي ولن يخاف من أحد ولا من شيء إلا الله وحتى الله لن يخافه إلا إن ظلم وإن ظلم سيتوب عن قريب لأنه سيجد الله يوفقه أو سيجد صالحاً يأمره وينهاه أو سيجد فاسداً يعظه بمثاله، وكل شيء سيظهر ويتجلى بدون أي قيد صناعي كالذي كان من قبل أيام دولة

الأعراب المنافقين والكلاب الطاغين. القوة ستكون سمة الإنسان، مزيد من القوة، مزيد من فعالية القوة، القوة في كل أمر باطن وظاهر، والله سيزيدهم قوة إلى قوتهم. الروم سيجتاحون العالَم ويضعون تحت أقدامهم كل طاغية ودجال ويجعلون الأعزة المعتدين أذلة مُهانين وسيكون بني إسرائيل المسلمين أهل الله وحملة القرءآن العظيم هم الأعزّة والظاهرين وكل مسلم مسالم من الناس أجمعين. ستنتشر الحرية والمعرفة في الأرض حين يقوم الروم بالواجب والفرض. وهو التسبيح العملي مساء وصباح بالنسبة للمجاهدين في سبيل تحرير الناس وتركهم للتوجه لرب الناس.

١٨-{وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون}

التسبيح فيه معنى نفي الباطل والسوء، وأما الحمد فهو إثبات معنى الحق والحسن، فالحمد يكون لثبوت صفة كمال والتسبيح لنفي صفة نقص. ولولا التسبيح لما انتفت النقائص أو توهم النقائص في الله تعالى، لذلك التسبيح تطهير القلب وبعده الحمد الذي هو أثر تجلي نور الله في القلب والعالَم "وأشرقت الأرض بنور ربها". فله الحمد في السموات والأرض لأنه نور السموات والأرض، وحين تشهد القلوب هذا النور ستحمده وإن كان الحمد ثابت له بنفس وجود المكان

متمثلاً بالسموات والأرض وبنفس وجود الزمان متمثلاً بالعشي والظهر. فالأكوان تحمد الله بغض النظر عن حمد الإنسان. والإنسان حين يحمد الله فإنه يتوافق ويتناغم ويتغنّى مع الأكوان. "إنا أرسلنا معه الجبال يسبّحن بالعشي والإشراق. والطير محشورة كل له أواب"، فحين يتوجّه الإنسان إلى الله يجعل الله الأكوان تتوجه إلى الإنسان وتأتم به وذلك حين يحقق خلافته لله.

مَن يستطيع أن يحمد الله على وجود السموات والأرض، وعلى وجود العشي والظهر، أي على وجود المكان والزمان، إلا إنسان حر مستنير. "إن العبيد لأنجاس مناكيد" المستعبدون لا يحمدون، ولا يستطيعون، وكل ألفاظهم مشوبة بالنجس والنكد بالضرورة إن كانوا مقهورين وبأسوأ من ذلك إن شرحوا بعبوديتهم للبشر والطغاة والجهل صدراً. لذلك لابد لتحقيق حمد الله في الناس من رفع أسباب العبودية عنهم، لابد من رفع القيود المكانية والزمانية الباطلة والآثمة التي تجعل الناس غير أحرار في التصرف في المكان والزمان مادام تصرفهم ليس فيه عدوان بأضيق معاني العدوان المباشر الحقيقي وليس على طريقة "خوف الفتنة" و "سد الذريعة" و "رعاية المصلحة العامة" التي يتذرّع بها المجرمون الطاغون عادةً، فضلاً عن أن القيود التي يمكن أن توضع ستكون قيوداً وضعها الناس بإرادتهم بأحسن السبل

الممكنة عندهم وسيشارك في صنعها أكبر عدد منهم بحسب شروطهم التي أيضاً هم الذين سيحددونها. لكن الواجب السعي باتجاه تحرير الإنسان مكانياً وزمانياً، حتى يتبوأ من الأرض حيث يشاء ويفعل بحياته ووقته ما يشاء، ويكون كل قيد موضوع على أحد بهذا الخصوص أسوأ من أكل الميتة والخنزير من حيث البحث عن شروط ضرورته وتقييده بها والسعي لإزالتها بأي سبيل. أي ستصبح الحرية هي القيمة الكبرى والمركزية، والعلم أعظم وسيلة، وكل تفصيل صغر أم كبر لابد أن يخضع للوازم الحرية الفردية والعلم البينّ، فإن جاز جاز وإلا فلا. هذا الكلام الذي قد يبدو عامّاً من وجه إلا أنه ليس عامّاً مبهماً وله تجلي واضح ومفصّل تفصيلاً في كل مسألة إلا أننا هنا نبينّ الأصول والمفاتيح، والتفاصيل تتجلى في المسائل الجزئية بعد ذلك. فالمقصد الأعظم هو جعل الإنسان يرى الحمد القائم في المكان والزمان، وحتى يكون حامداً على حياته وشاكراً لما هو عليه. فما يوصل إلى هذا سيكون طريق الحق، وما يبعد عنه فهو طريق الظلم والظلام. فإن أردت تقييم ما أنت عليه فاسأل نفسك هذا السؤال: هل تحمد الله على كل ما أنت عليه نفساً وما أنت فيه مكاناً وزماناً؟ فإن قلت نعم من عمق قلبك لا الحمد بالمعنى التقوي السطحي الذي يعتاد العبيد على التلفظ به من باب العادة أو من باب تسكين ألم النجاسة والنكد الذي يجدونه أو من باب اتقاء غضب وهمي لله

وكأنهم يقولون لله "نحن نعيش وضعاً مأساوياً وسنقول لك الحمد لله حتى لا تجعلنا بعد الموت أيضاً نعيش وضعاً مأساوياً فيكفي البلاء والقرف والمزبلة التي اسمها حياة التي نعيشها الآن" كلا ليس هذا الحمد المتكدّر والنكد، لكن الحمد الصافي الخالص الذي ينطق به قلبك قبل أن ينطق به لسانك، وتجد نوره وانشراح صدرك له وتدمع عينك بسببه وأنت في خلوتك ولو لم تتلفظ به لشهودك حسن المكان والزمان بتجلي الله فيه بأسمائه الحسنى وجماله الأسنى وانعكاس ذلك في نفسك بما تشهده فيها من عزّة وراحة واستنارة وقيمة بفضل الله ورحمته وحريتك من الخلق وعبوديتك الخالصة الطوعية للحق، هذا الحمد حين يصدر منك فأنت على الصراط المستقيم والحياة الطيبة.

لاحظ السعة والانطلاق الذي في التسبيح والحمد. التسبيح متعلق بالصباح والمساء والحمد متعلق بالسماوات والأرض والعشي والظهر، ما معنى ذلك؟ معناه أنك خارج بيتك ولك اتصال بما هو خارج بيتك أو بالأحرى خارج سجنك وقبرك، لأنك إن كنت في قبر فلن ترى صباح ومساء وعشي وظهر، ولن ترى سماء ولا أرض. لكنك إن كنت في الخارج حراً طليقاً في الطبيعة فستشهد ذلك بجلاء وترى حقيقته وتتأملها. وهذا بحد ذاته رمز على حالة الحرية الجديدة هذه. الخروج

من المضايق والعيش وراء الجدران والمشي جنب الحائط والإيواء إلى الكهف وهلمّ جرّاً من مظاهر الخوف والقهر وكره العالَم وبغض الطبيعة. كل هذا سيزول. وستكون الطبيعة مكاناً وزماناً هي المسجد الأكبر، وهي الآية الحية، والكلمة الربانية القائمة. نظرك في الزمان ومظاهره سيكون تسبيحاً وحمداً، ونظرك في المكان سيكون حمداً، وعملك فيهما سيكون شكراً، وقراءتهما ستكون صلاتك، والحركة أو السكون فيهما ستكون سياحتك، وقيامك في العالَم سيكون عمرتك وإعمارك له.

التسبيح غيب والحمد شهادة. فالتسبيح سماعي والحمد بصري. وكل ذلك ذكر لله.

تعلّق التسبيح بالصباح والمساء لأن التسبيح يدور بين الإثبات والنفي، الكمال أو النقص، ولا يوجد شيء ثالث ما بين ثبوت الكمال أو نفيه. فالله إما منزّه في ذاته عن الزمان وإما ليس كذلك، إما واحد وإما منقسم ومتعدد، وهكذا عقلاً لا يمكن إلا هذا أو ذاك. فدار التسبيح ما بين الصباح والمساء كما دار معناه بين إثبات الكمال أو إثبات النقص ولا وسط بينهما.

أما الحمد فدار بين السماوات والأرض من جهة، وبين العشي والظهر من جهة أخرى. لماذا؟ أما بين السماء والأرض لأن صفة الكمال إما أن تكون مجرَّدة وإما أن تكون مجسَّدة، أي إما سماوية وإما أرضية، إما كلية وإما جزئية، إما متعالية وإما نازلة. وأما بين العشي والظهر لأن الوقت إما أن يكون الظهر الذي هو أعلى ظهور للشمس وقمّة ظهورها ونقطتها العليا في الإشراق والإضاءة باختصار قمّة صعود الشمس، وإما عشي والعشي له درجات نهارية ودركات ليلية لكن كلها ينطبق عليها اسم العشي من حيث عشو العين لغياب الضوء الكامل للشمس سواء كان غياب الضوء ناتج عن دركات غروب الشمس من بعد الظهيرة إلى السحر وإما ناتج عن درجات طلوع الشمس من الفجر إلى ما قبل الظهيرة، فكلها عشي من حيث الحقيقة، وتبقى نقطة الظهور الكامل للشمس هي الظهر. كذلك صفة الكمال أي صفة كمال لها ظهور مطلق ولها درجات ودركات. مثلاً، العلم ظهوره المطلق في العلم الإلهي "وهو بكل شيء عليم"، لكن له درجات في الإشراق كدرجة العلم النبوي "رب زدني علما" لاحظ هنا زيادة في إشراق العلم صعوداً، لكن توجد دركات في العلم كقوله "ننكسه في الخلق" و قال "ثم رددناه أسفل سافلين" وقال "ليكي لا يعلم من بعد علم شيئاً" الذي هو أرذل العمر فقد كان فيه العلم ثم بدأ بالتناقص والغروب دركة فدركة حتى يصل إلى الدرك الأسفل

الذي هو "لا يعلم..شيئاً". فالعلم له نقطة واحدة هي الظهيرة وهو العلم المطلق، وله درجات في الازدياد وله دركات في النقص، ودرجات زيادته لا تبلغ أبداً النقطة المطلقة إذ "فوق كل ذي علم عليم" إلى مالانهاية لأن علم الله لا حد له، لكنه قد يبلغ أسفل نقطة من العدم وذلك حين تنعدم الصفة تماماً كانعدام صفة العلم أو صفة الحياة بالموت أو صفة القدرة بالعجز أو صفة القوة بالضعف وهلمّ جرّاً في بقية صفات الكمال. الحمد يكون {عشياً} وذلك بالحمد على وجود النور أي صفة الكمال ولو ذرة منها أو الحمد على غياب صفة الكمال في الصالحين لأنها تقلل التكليف وترفع المسؤولية من قبيل "ليس على الأعمى حرج" فالأعمى المؤمن يحمد الله على عماه كما يحمده البصير المؤمن على بصره، ويحمد الأعمى على عماه لأنه رفع عنه الحرج وتكاليف الشريعة والطريقة المتعلقة بالبصر وهو من التيسير وكفاية الله المؤمنين القتال، وغير ذلك من اعتبارات يحمد فيها المؤمن على غياب صفة الكمال في بعض الحالات، وهو من قبيل "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" فالحمد أيضاً على الظلمات فتأمل، فالحمد على العشي بكل درجاته ودركاته مختص بالمؤمنين لذلك ثبت لهم اسم الحامدين لأنهم حمدوا على كل وجود وعدم لصفات الكمال، وكذلك يكون على وجود صفة الكمال المطلق في الحق تعالى وكونه جعل اسمه تعالى المثل الأعلى

للناس إذ بذلك يكون الصعود والمعراج إلى مالانهاية في النعيم والاقتراب منه ممكن إلى ما لا نهاية، ومن هنا سنجد في سورة الروم ذكر كون المثل الأعلى لله، إذ لو كان المثل الأعلى لغير الله لأمكن بلوغه والاتحاد به وحينها ينتفي الازدياد والمزيد وينحدّ النعيم ولو بعد حين، لكن لما كان المثل الأعلى لله والحمد يقع في الظهر أيضاً دل على النعيم اللانهائى وإمكان التحسين والتجميل والتعظيم مطلقاً أبداً كما قال في نعيم أصحاب الجنة "عطاء غير مجذوذ" -لاحظ أن "مجذوذ" بدون نقاط هي "محدود"، فيتضمن معنى: عطاء غير محدود. وهو كامن في "عطاء غير مجذوذ" لأن الجذ حد. "لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد".

١٩-{يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون}

"أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها" و "الله ولي الذين ءآمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" و "الله نور..والله بكل شيء عليم". إذن الحياة والنور والعلم شيء واحد، والموت والظلمات والجهل شيء واحد، أي حالة إنسانية نفسية والكلام هنا عن النفوس

وليس الأجسام في هذا التأويل لأنه المعتبر والقرءآن جاء ل"ينذر مَن كان حياً" والحي هنا هو الذي شرحه في أول يس "إنما تنذر مَن اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب" فمتبع الذكر وخاش الرحمن بالغيب هو الحي الذي جاء القرءآن لإنذاره ومن سوى ذلك فقد "حق القول على الكافرين" أي هو كافر بالتالي ميت وفي الظلمات وجاهل. الكلام إذن عن إحياء نفوس الناس بنور العلم وحياة الروح وعقل القرءآن، باختصار بالقرءآن إذ "فذكّر بالقرءآن" وحين نستعمل اسم القرءآن فنحن نقصد الحياة والعلم والعقل والنور والروح والقيامة النفسية وبقية الصفات النورانية والكمالية.

الناس ما بين حي وميت نفسياً. الحي فيه عناصر موت، والميت فيه عناصر حياة. وما عليه أكثر الناس هو الذي سيشكّل حال البلد الذي يعيشون فيه فالله يحكم على الكل بما عليه حال الأكثرية وهذا كثير في القرءان كقول الرسول "إن قومي اتخذوا هذا القرءآن مهجورا" ومن المعلوم أن ليس كل فرد فرد من قومه اتخذ هذا القرءآن مهجورا ولكن أكثر قومه فعلوا ذلك إذ ءامن مع النبي قليل وهاجروا معه وهاجروا إليه إلا أن العبارة هنا "إن قومي اتخذوا" وليس "إن أكثر قومي اتخذوا"، فاستعمل الاسم بدون قيد لأنه ينطبق على الأكثرية، فعرفنا من هنا وغيره من المواضع أن الأكثرية حاكمة وهي التي تحدد

حال الكل عند الله وعلى هذا الأساس تنزل الأحكام التكوينية والتشريعية بشكل عام، والاستثناء ما سوى ذلك وهو أن تُراعى حالة فرد فرد. بناء على ذلك، وبناء على أن اسم "الأرض" ينطبق كما قلنا على الناس الذين يعيشون على أرض وليس فقط على بقعة الأرض، نعرف أن البقعة التي يعيش عليها أناس أكثرهم أموات نفسياً هي أرض ميتة وإحياء هذه الأرض يكون بتحويل هؤلاء الناس إلى أكثرية أحياء. فكيف نفعل ذلك؟ هذا ما تجيب عنه الآية. {يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون}.

مَن كان غالب أمره قائم على مقتضيات العلم ومركز حياته العلم فهو الجدير باسم {الحي}، ومَن كان غالب أمره قائم على مقتضيات الجهل ومركز حياته الغفلة فهو الجدير باسم {الميت}. والفرق بينهما بيِنّ وليس أمراً إجمالياً مبهماً وقد بيّنت السورة من أولها ذلك. فمثلاً حين ذكرت الذين "يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا" فهؤلاء هم الأموات، فالذي يعلم ظاهر الدنيا فقط ميت، فما بالك بالذي لا يعلم حتى هذا الظاهر فهو ميت الأموات. إذن العلم هو المعيار في التمييز بين الحي والميت. مَن كان عالماً بأمر فهو حي فيه، وإلا فهو ميت عنه. فمن كان عنده علم ظاهر الدنيا فهو ميت بالنسبة لباطن الدنيا

والآخرة، ففي الحكم الحق المبني على ما هو باق لا على ما هو فان وعلى ما هو أعلى لا ما هو أدنى سيُحكم على هذا الشخص أنه ميت. لذلك قال "أومن كان ميتاً فأحييناه" لأنه تحوّل من ميت عن علم الآخرة إلى حي فيها. هذا فرق. بيان آخر في آية أخرى مضت وهي "وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقائ الآخرة" فهذه ثلاث علامات للموت النفسي، فالكفر فيه معنى تغطية الحق ورفضه بعد معرفته وجحده بعد الاستيقان منه مما يدل على أن العقل ليس أولى أولويات هذا الشخص أي تعقل الحق وقبوله كائناً ما كان ليس هو أولى أولوياته وهذه علامة الموت بالتالي العاقل أي الذي يجعل عقله وتعقله هو أولى أولوياته ومركز عملياته وأساس قبوله ورفضه للأمور هو الحي. التكذيب بآيات الله موت، بالتالي رؤية العالَم كآية الله وقبول آيات الله البينات التي يأتي بها الرسل أي القرءآن هنا هو حياة. الكفر بلقاء الله في الآخرة موت، بالتالي الإيمان بلقاء الله في الآخرة حياة. هذا فرق آخر. فرق ثالث "أولم يتفكروا في أنفسهم" فالتفكر حياة، عدم التفكر موت. فرق رابع "أولم يسيروا في الأرض فينظروا" فالسير والنظر حياة، وعدم السير وعدم النظر موت. وعلى هذا القياس تستطيع تحديد عناصر الحياة وعناصر الموت المقصودة هنا والتي يمكن تلخيصها باعتبار في جملة واحدة، النفس التي ترى أن قراءة القرءآن هي أهم عمل عندها وتجعل بقية أعمالها تدور في فلك

قراءة القرءآن فإما أن تكون أعمال خادمة لتفريغه لقراءة القرءآن مثل طلب المعاش وإما أن تكون أعمال نابعة من قراءته القرءآن مثل تبليغ الحق، فهذه النفس حية. وأما الموت فله سبل كثيرة كلها تدور في فلك عدم جعل العقل هو المركز، عدم جعل التعلّم هو المركز، عدم جعل الله وذكره هو المركز، عدم جعل السعي الأخروي هو المركز، جعل الشهوة أو الهوى أو الحمية الجاهلية أو اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد هو المركز وأساس الحياة ومقصدها الأعظم الذي يدور عليه التفكير والسعي، هذه كلها سبل الموت ودركات الجحيم النفسي وأمواج بحار الظلمات.

بناء على ما سبق نقرأ {يخرج الحي من الميت} فكل إنسان لأن فيه فطرة الله التي هي الدين القيم يملك قيمة ذاتية وفيه جوهر الحياة وإرادتها والاستعداد النفسي لها، ولذلك من شأن المعلّمين والمزكّين أن يعملوا على تنبيه الإنسان الميت على ذلك عبر إخراج عناصر الحياة منه، أي تنبيهه على فطرته وتجلياتها وأهمية العلم والعقل حتى في حياته هو من حيث يشعر أو لا يشعر، وضرب الأمثال له على الآخرة من أمور دنياه وظاهر الحيوة الدنيا التي يدور في فلكها ويسجن نفسه فيها. فكل ميت فيه حي كامن يريد الخروج وهو النفس الحية الفطرية الإلهية. والعكس صحيح أيضاً. {يخرج الميت من الحي} فكل

إنسان مهما كان حيا لا يزال فيه عناصر شر وظلمات وظلم وجهل، وقد تكون لديه أفكار ستؤدي أو تؤدي إلى الشر والظلم فلابد من تنبيهه عليها وإخراجها منه عبر التجادل معه والحوار وتحليله وتأويله حتى يعي وجودها ويصل إلى جذورها ويقلعها من هنا ، ولولا الميت الذي في الحي لما عصى آدم ربه فغوى ولما استغفر محمد ولما قتل موسى نفساً. فكل حي فيه ميت، وكل ميت فيه حي. فإن أخرجنا الحي من الميت سيصبح لديه رجاء تحويل نفسه إلى نفس حية لأنه رأى ما هو كامن فيه واستعداده له وإرادته ولو بغفلة منه له، وإن أخرجنا الميت من الحي سيحذر وسيتطهر وسيزداد وعيه وتمسكه بعوامل الحياة وأسبابها ويعرف كيف يكتشف عناصر الموت وتزداد رهافته في ذلك وحساسيته لها فتزداد حياته وقوتها بإذن الله. ومع تكرار هذه العملية مع كل فرد ، مع الوقت بإذن الله سيتحوّل أكثر الناس في مكان ما إلى أكثرية أحياء مما يعني تحقق آية {ويحيي الأرض بعد موتها}. فتصبح الأرض الآن مثال على الجنّة إذ تشيع فيها رياض الجنة وقصورها التي هي حلق الذكر وبيوت العلم، وما سوى ذلك من أمثال الجنة التي تأويلها العلم وشؤونه المختلفة كالأنهار التي هي علوم وكالظلال التي هي علماء وهكذا بكل تفصيل وتأويل ليس هذا محل ذكره تفصيلاً. فإذا كان للجنّة ظهور على الأرض ومثال تتجلى فيه فهو القرءآن وأهل القرءآن والبلاد

التي أكثر أهلها هم أهل القرءآن. أو إن شئت فهو العلم وأهل العلم والبلاد التي أكثر أهلها هم أهل العلم. وإن شئت فهو العقل وأهل العقل والبلاد التي أكثر أهلها أهل العقل. وإن شئت فهو الذكر وأهل ذكر الله والبلاد التي أكثر أهلها أهل ذكر الله. وهكذا كل صفة من صفات النور والحياة والروح والألوهية والرحمة والعلم هي جنّة من الجنّات، والجنّات كثيرة ولها درجات. والدرجة التي تحكيها هذه الآية هي درجة الحياة، لذلك الكلام فيها كله عن الحياة، لأن الحياة أوّل المقامات وأساس باقي الصفات. والحياة جوهرها هو تحوّل النفس إلى نفس تعي الآخرة وباطن الأمور وتذكر الله أي نفس لها بُعد باطني لا ظاهري فقط. فكل نفس لها حياة ظاهرة وعلم بشيء من أمر الظاهر الدنيوي مهما ضعف وقلّ. لكن أن تصبح النفس لها حياة باطنة وباطنية وعلم بالأمر الباطني للدنيا من أول درجات الباطن إلى أعلاها الذي هو "الباطن" سبحانه وتعالى، فهذه هي الحياة التي يتحدّث عنها القرءآن في "أومن كان ميتا فأحييناه" وجاء القرءان والرسول ورسله من أجل نفخها في الناس والأرض. عمل الروم اليوم هو إكمال عملية الإحياء الباطني هذا ببثّ علم التأويل بدرجاته المختلفة، وكل رومي له درجة عند الله ومن الله يقوم بها وينفخ الروح بحسبها ويبثّ التأويل من نهرها.

قد ذكرنا أن الحياة جوهرياً هي الرؤية الباطنية للعالَم الذي هو كتاب الله التكويني والقرءآن المشهود لا القرءآن المقروء الذي هو هذا العربي الذي ندرسه. فبعد أن ذكر {وكذلك تخرجون} في الآية هنا دل على حصول الخروج من قبر الموت والجهل إلى بقر الحياة والعقل أي بقر وشق ظاهر العالَم للنظر في باطنه ووجهه الإلهي ودلالته على الله وأمر الآخرة وحقيقة النفس وعوالم الباطن باختصار رؤية العالَم كآية. فهذا التحوّل قد حصل الآن بعد {وكذلك تخرجون}، لذلك الآية التي بعدها فوراً بدأت تذكر آيات الله في العالَم، وهي مظاهر كونية لكنها مذكورة كآية وفيها أبعاد عقلية وعلمية لا يشهدها الحس من حيث هو حس فقط ويربط العالَم بالله واسمه وفعله وأمره وقصده من العالم. أي صار العالَم محسوساً ومعقولاً معاً، بالعقل الباطني للمتألهين. فذكر "ومن ءاياته" وعدد هنا سبع آيات بالنص على أنها من آياته مبتدئاً بكلمة "من ءاياته" وإن كان قد ذكر آيات أخرى غير هذه ما بين ذلك وفي بقية السورة. فالعالَم بعد الخروج الإحيائي تحوّل من صورة إلى آية. وهذه علامة الحياة الباطنية المقصودة بالقرءآن.

عملية الإحياء يجب أن تبدأ بالأفراد، وتعاملها يكون على أساس فردي كأصل. {يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي}. وهذا خلافاً للنزعة الجماهيرية التعميمية ومخاطبة الناس من حيث هم

قـطيع وجـمهور، فهـذا فـرع واسـتثناء أقـصد الخـطاب الجـماهـيري. الإحياء خطاب فردي لا خطاب جماهيري. وهذا من أهم الفروق بين الرسل وورثة الرسل وبين أهل الجهل والطغاة الذين يهمهم كمية بهائمهم لأنهم يريدون لأغراض الدنيا حصراً ويريدون أسرهم عندهم من أجل عرض الحيوة الدنيا. اعرف الدجّال المتدين من هذا: لا يتعامل معك على أساس فرديتك والنظر في شأنك أنت كأنك العالَم كله ولا يوجد غيرك باعتبار ما. فالنبي مثل الطبيب يعالج على أساس فردي. والدجال مثل الطاغية يخاطب الحشود ويخرج عليها في زينته ليبهر أنظارهم ويطمس عيون عقولهم ويشتتهم بتهييج عواطفهم. تذكر هذا جيداً واحكم به وافرق بين الدعاة على أساسه. نعم هذا لا يعني أنه لن يكون للعالِم والرسول خطاب لعموم الناس أيضاً مثل صلاة الجمعة، لكن هذا استثناء وليس الأصل. والحق أنه لن ينفع هذا الاستثناء أيضاً إلا مع أناس قد تم التعامل معهم على أساس فردي وصاروا أحياءً وفهموا الأمور الأصلية والأسس وبعد ذلك يكون خطابهم العام معقولاً بدرجة ما ونافعاً إلى حد ما. وإلا فانظر حولك وفي نفسك كم مرّة تغيّر فيك شيء حقيقي وجذري بسبب خطاب كنت فيه واحدا من جمهور عريض. التغيير النفسي مبني على النظر في خصوصيات كل فرد، ومن هنا يُروى في الحديث الحق "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه

الشمس“ نعم هذا نظر نبوة، الهمّ هو بالرجل الواحد، وليس بكثرة الأتباع الصوريين وأسرى الدنيا. لكن بالعكس من ذلك تجد فرعون يستحقر القلة ”إن هؤلاء لشرذمة قليلون“ ولو كان فيهم موسى كليم الله. النظر إلى الكمّية في التعامل مع الناس هو كفر بهم وبالحق وفرعنة، هذا هو الأصل. وأما الحكم على قوم بحسب حال أكثرهم فإن هذه مسألة أخرى متعلقة بإرادة استخلاص كيفية قوم عبر النظر في الحال الكيفي لأكثرهم إذ لابد من التعامل معهم واتخاذ موقف منهم عام ولا يمكن أن يكون إلا موقفاً واحداً بالضرورة إذ العمل لا يكون إلا واحداً في بعض الحالات فحيث تضطر إلى إصدار حكم واحد على عدد كثير من الناس فليس أمامك إلا أن تبني موقفك منهم بحسب حال أكثرهم أو بحسب حال أقلهم والعقل يقضي بترجيح الأكثرية لأن بينهم مساواة إنسانية جوهرية فلم يبق إلا ترجيح حال الأكثرية مع مراعاة الأقلية بأكبر قدر ممكن لا يضر بالعمل ومقصده ككل. إلا أن هذا ليس موضوعنا هنا. الموضوع هنا هو الإحياء. هل الأصل التعامل مع الفرد كفرد أو التعامل مع الحشد؟ هل تتكلّم فقط مع العامّة بدون مراعاة الفروق الفردية بينهم، فتكلّم الكل بكلام واحد ولا تراعي حال كل شخص، أو تكلّم كل واحد بما يناسبه وبحسب عقله وحاجته وتجعل هذا قدر استطاعتك هو الأصل، ثم يكون كلامك في الأمور العامّة مع العامّة والتي يستطيع كل واحد فيهم أن يأخذ من كلامك

ما يعقله وبحسب حاله. التغيير الحقيقي والجذري لن يكون إلا بالنظر الفردي. فالأصل هو الفرد والفرع هو الحشد. لذلك {يخرج الحي} ثم {يحيي الأرض بعد موتها}. فذكر الفرد حياً وميتاً، ثم ذكر الأرض التي هي تجمع أفراد. هذا الترتيب يحتاج إلى جهد أكبر وعمل أعظم لكنه العمل الأحسن والأكبر إنسانية والأكثر فائدة على المدى الطويل بل والقصير. فإن فرد مستنير أنفع من حشد أعجبه كلامك ولم يبلع أو يهضم منه شيئاً أو حرّفه وهو يظن أنه فهمه أو لم يتحوّل هو نفسه إلى رسول ليرسل رسالتك ويصبح هو نفسه صاحب رسالة خاصة نابعة من فطرته الإلهية. الطريقة فردية والسياسة جماعية. من هنا الطريقة إنسانية لكن السياسة من ساس الخيل أي هي تصرف مع دواب أي تصرف مع إنسان من حيث هو حيوان لا من حيث هو إنسان لأنها بطبيعة الحال تطمس فرديته وفطرته وحقيقته الخاصة به وتجهل حالته المخصوصة وظروفه وشؤونه المختلفة. أحيوا الفرد تحيى الأمّة.

٢٠-{ومن ءايته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}

{من ءايته} هي آية واحدة حسب الخط وآيات حسب القراءة وكلاهما حق. فهي آية واحدة في الحقيقة وآيات كثيرة في الصور والمظاهر. الكل آية، فإذا نظرت من حيث الكلّية قلت "آيته" وإذا نظرت من

حيث جزئيات هذه الكلّية وتفاصيلها قلت "آياته". فللإنسان عينين واحدة ينظر بها إلى الكلّية وواحدة ينظر بها إلى الجزئية، فإن خسر أحدهما صار أعوراً دجالاً.

{خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون} الفعل خلق، الأصل تراب، النتيجة بشر ينتشرون. فما معنى "من تراب"؟ نحن نرى الجسم يتحلل بعد الموت ويصبح تراباً ويختلط بتراب الأرض فلا يتميّز عنه، فحسب الظاهر رجوعنا إلى التراب دليل على خروجنا من التراب. فالتراب عبارة عن البساطة والأصل البسيط غير المركّب والمعقّد الذي هو "أنتم بشر تنتشرون". فالسؤال: كيف انتقلنا من البسيط إلى المركّب؟ حسب الظاهر لا يمكن للبسيط أن يتحوّل إلى مركّب بنفس فعل البسيط لأنه بسيط ولا يستطيع أن يُخرج من ذاته أكثر مما هو فيها وما هو عليه، فلأنه بسيط لا يمكن أن يكون السبب الحقيقي للمركّب الذي من عناصره أو عنصره الأساسي هو هذا البسيط. "أنتم بشر" البشرية بالإضافة إلى التركيب يوجد فيها عنصر الحياة الظاهر في الإرادة والظاهر في التوليد المعبّر عنه ب"أنتم تنتشرون" فمعنى الانتشار يتضمّن العمل بالإرادة مثل "إذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض" فالانتشار هنا وهو التفرّق والتشتت في الحركة والانتقال ناتج عن إرادة البشر التحرّك والتفرق والتشتت،

ويتضمن كذلك التوليد أي البشر ينتشرون بالتوالد فيخرج منهم بشر آخر فيفترق الوالد عن المولود بنفس عملية الولادة ويحصل الانتقال والتغاير في الذوات والحركات. فكيف تحوّل التراب إلى بشر ينتشرون، كيف تحول البسيط غير المريد وغير المتوالد إلى مركّب مريد ومتوالد؟ العبارة القرءآنية الرمزية الطبيعية تنحلّ إلى هذه الفكرة. وهنا يأتي دور العقل. فقد عرفنا أن الخروج من الموت إلى الحياة يعني بداية الحياة العقلية والفكر والنظر. والعقل يقضي باستحالة تحوّل البسيط غير المريد وغير المتوالد إلى مركب مريد ومتوالد إلا بعامل خارج عن البسيط وفاعل فيه. كأن نرى خشباً ملقياً في الغابة، ثم فجأة نرى بعض هذا الخشب صار طاولة وبعضه صار كرسياً وبعضه صار رماداً، فهنا سنعلم أن الخشب ذاته لم يغيّر شكله إلى طاولة وإلى كرسي إذ هذا يحتاج إلى هندسة والهندسة ليست من شأن الخشب في ذاته بل هي عمل عقلي فنعلم أنه لابد من وجود عامل أو شيء من خارج ذات الخشب قد فعل فعله العقلي واليدوي وتصرّف في الخشب، وكذلك بالنسبة للرماد فإنه تحليل وتحويل الخشب من صلابته إلى رماد مفتت دليل على وجود قوة من خارج الخشب قد أثّرت فيه وفككته، وحين نرى هذا الاختلاف في التغير في الخشب الذي كان واحداً بسيطاً وصار بعضه بشكل طاولة وبعضه بشكل كرسي وبعضه بشكل رماد سنعلم أن العوامل التي أثّرت فيه من

خارجه غير ذات الخشب حتى لو جهلنا تلك العوامل على التفصيل. أما تحوّل التراب إلى بشر ينتشرون فإنه أكبر وأعقد من تحول الخشب إلى كرسي، لأنه تغيير ليس فقط شكلي بل جوهري أيضاً، إذ إفاضة الإرادة على غير المريد، وإفاضة قوة التوليد على الجامد، ووجود العقل المفكّر الناظر في الكليات والحقائق في غير المفكّر على هذا النحو، فهذا أكبر وأعظم من ذلك. فإذا نظرنا في الطبيعة لم نجد فيها شيئاً يفيد الإرادة والحياة المولّدة والعقل الذي نجده في أنفسنا كبشر ينتشرون. فمن هنا نعلم أن مصدر هذه الحياة النفسية ليس التراب ذاته ولا الطبيعة كلها لأنها مثل التراب من هذا الوجه، فلابد أن يكون شيئاً مما فوق الطبيعة، فوق لأنه تصرّف فيها وحوّل بسيطها إلى مركّب وجامدها إلى متوالد وعاجزها إلى مريد وغافلها إلى عاقل. الانتقال في الأطوار ما بين التراب إلى البشرية هو بحد ذاته دليل على وجود عامل مما وراء الطبيعة وفاعل مما فوق الطبيعة يتصرف في الطبيعة. وهذا الفاعل هو المعبّر عنه بكلمة {خلقكم}. ولاحظ أن الخلق دائماً من شي وليس من لاشيء، {خلقكم من تراب} وليس خلقكم من عدم. الخلق من شيء هو الدليل الأكبر على وجود الخالق المغاير لهذا الشيء والفاعل فيه. هذا كلّه كلام على ظاهر المثل، لكننا علمنا أن العبرة هي الأمر النفسي والباطني أي تأويل المثل وباطنه، فما هو؟

النفس لها تراب وهو بساطتها الأولية، الفطرة. فطرتها ترابها. والتراب هو الوعي المجرّد، لأنه بسيط لا يريد شيئاً بعينه ولا يولّد فكرة بعينها، فالوعي لا مريد ولا مفكّر، وهو وراء كل إرادة وفكر. الوعي ثابت لا يتحرّك بذاته، فهو سكون تام وثبات مطلق في عين ذاته. شاهد وعيك الذي هو حقيقتك الذاتية وسترى ذلك. وهي حالة الصمت والسكوت الذاتي القائم بذاتك. هذا ترابك. بعد ذلك تجد حركة وحياة تتشكّل بالوعي، والوعي يأخذ شكلاً إرادياً وهيئة فكرية، فتجد إرادات وأفكار في نفسك. فكيف صار الوعي إرادة مخصوصة وفكراً معيناً؟ الواسطة في ذلك هي كلمة الله. فالله يخلق ذلك فيك بكلمته، وهي هنا القرءآن. فإذا قرأت القرءآن ستجد فيك إرادة وفكراً، وستجد قوة إرادية وفكرية فيك، لذلك القرءآن فيه أمر يخاطب الإرادة وخبر يخاطب الفكر، أو يخلق الإرادة والفكر. النفس في أصل فطرتها لا تفكّر ولا تريد، بل هي وعي مجرد قائم مشاهد حصراً. لذلك لا ينتفع بالقرءآن مثلاً من كان له إرادة وفكرة في نفسه قبل قراءة القرءآن، لأنه ليس على الفطرة، لا يزال فيه شيء يعارض ما يأتي به القرءآن، فتجد ظواهر مثل "إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين" أو "ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد" وهكذا كل معارضة للرسالة منشأها وجود تكوين إرادي وهيكل فكري قائم في النفس من قبل. فكيف تأخذ الرسالة بصفاء؟ الطريق هو الرجوع

إلى التراب. أي الرجوع إلى الفطرة والنفس الطاهرة والوعي المجرّد الخالي من الإرادة والفكرة بذاته ومشاهدة والقيام به. وبعد حلّ كل إرادة وكل فكرة، حينها سيأتي الله بكلامه النفسي الذي سيخاطب نفسك من عمق قلبك وبكلامه الآفاقي الذي سيخاطب نفسك من ظاهر جسمك وستجد نفسك بشراً تنتشر أي ستقوم فيك صورة إرادية وفكرية هي صورة خليفة الله وعوالم الله، فتصبح ذا إرادة من إرادة الله وفكراً من علم الله وعقلاً بقوة نور الله وسينتشر نورك هذا الذي هو من نور الله في الأرض "وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس". فالآية تشرح طريق التنوير من التجريد إلى التجسيد، من الوعي إلى النبي.

٢١-{ومن ءاياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}

الآية السابقة تحكي التحوّل النفسي من الوعي إلى النبي، فالآن بعد أن صرت صاحب علم وحامل كلام الله في نفسك ماذا تريد؟ الآن الانتقال من الفردية إلى الزوجية، أي إلى بدء التجمّع مع أناس آخرين يريدون التعلّم منك أو أن تجتمعوا للتدارس معاً فيفيد بعضكم من بعض. لذلك ذكر هنا الآية التالية وهي {خلق لكم} لاحظ الأولى

كانت "خلقكم" وهنا {خلق لكم}، فأولاً تستنير أنت في نفسك ثم سترى كيف يصنع الأشياء ويسخّر الخلق ويمدّك وينصرك بالمؤمنين. {خلق لكم من أنفسكم أزواجاً} فمن أنفسكم أي من الناس مثلكم ومن هو على شاكلتكم مثل "لا تقتلوا أنفسكم" المقصود نفسك أنت ونفسك غيرك من الناس الذين هم مثلاً من المؤمنين مثلكم وينتمون إليكم مثل "أولي الأمر منكم". فالأزواج هنا هم الناس الذين لديهم نفوس حية مثلنا، وليس النفوس الميتة، لذلك قال بأن الزواج من مؤمنة ومؤمن خير من مشركة ومشرك ولو أعجبتكم وأعجبكم أي أعجبكم ظاهر جسمهم ومالهم، فجعل الأولوية لاعتبار النفس لا المظهر. من هنا تجد كلمة أزواج بدون نقاط تصبح أرواح، وهو كذلك، الزوج المقصود به الروح، روحه، باطنه. فلما صرتم أنتم أصحاب روح إلهية وقرآنية بحكم التحوّل من تراب إلى بشر كما مضى، جاء الوقت للانضمام إلى غيركم من الأرواح الأزواج. لماذا؟ {لتسكنوا إليها} فالنفس الروحانية غير ساكنة ما دامت في الطبيعة لأنها لا تجد نفساً مثلها تتكلّم معها وتفهمها وتعيش معها على الاستقامة على الطريقة واتباع الشريعة، حين تنظر إلى الطبيعة لا تجد عقلاً، فينحبس الكلام في ذاتها ولا تستطيع إخراجه لعقل مثلها، فتكون غير ساكنة بل مضطربة وقلقة ومنزعجة. لذلك خلق الله من رحمته للنفس العاقلة الربانية {أزواجاً لتسكنوا إليها}، ولاحظ أن نفس

التعبير فيه عقل، أي ذكر الظاهرة التي هي وجود الأزواج ثم ذكر التعليل والسبب الذي من أجله خلق الله هذه الظاهرة وهو لتسكنوا إليها ، فهذا من الربط بين المظهر والظاهر أو الصورة والعقل، أو الحس والغيب، كما فعل في الآية السابقة "خلقكم من تراب" فربط فعل الله الذي هو الخلق وذات الله المشار إليها بالضمير من "خلقكم" مع المظهر الطبيعي الذي هو التراب والبشرية والانتشار، مع وجود روابط عقلية مثل "ثم" الدالة على الزمن أو الأثر المربوط بسبب وكلاهما أي الزمن والعلاقة السببية هما من الشؤون العقلية لا الحسّية فالحسّ لا يعطي زمناً ولا سببية وإنما العقل هو الذي يلاحظ ذلك ويضعه ويكتشفه أو حتى يأتفكه ويخترعه ولو كان زوراً فهو عمل عقلي لا إدراك حسي. كذلك الحال هنا نجد الظاهرة الطبيعية مع الفعل الإلهي والتعليل العقلي في آية واحدة، فالظاهرة هي وجود أنفس الأزواج والسكن والمودة والرحمة، والفعل الإلهي هو {خلقكم..جعل بينكم}، والتعليل العقلي في اللام من {لتسكنوا} و {إن في ذلك لآيات}. وهذه من مظاهر الحياة النفسية التي تشهد وتوحّد بين الظاهرة الطبيعية والفعل الإلهي والتعليل العقلي فتصبح الرؤية كلية تشمل الغيب المتعالي الذي هو الله والغيب النسبي الذي هو العقل والشهادة التي هي الطبيعة. والعقل من الله والطبيعة من الله.

{وجعل بينكم مودة ورحمة} لم يأمرنا بالمودة والرحمة، لكنه يذكر خبراً وحقيقة واقعية وهي أن بينكم وبين أزواجكم توجد مودة ورحمة. فالزواج هنا ليس المقصود به العلاقة الاجتماعية المعروفة التي تُقرن عادةً من قِبَل المحرّفين بهذا الموضع وهم في ضلال بعيد وخلاف مع الآية نصاً وروحاً. وبكل بساطة نحن نرى أزواجاً على الطريقة الاجتماعية المعروفة لكن ليس بينهم لا مودة ولا رحمة، وليس فقط لا يسكن إليها بل يرى السكن كل السكن في الفرار منها فراره من الأسد أو المجذوم. القرءآن لم ينزل من أجل هراء الماديين وسياسة المنافقين. فاحذر وتأمل.

النفس الحية سيخلق الله لها أزواجاً لتسكن إليها وسترى حقيقة أن بينها وبينهم مودة ورحمة. وختم الآية ب{إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} لأن المقصد هنا هو التفكير. أي النفس تريد نفساً عاقلة مثلها لكي يتفكروا سوياً، فيعاون بعضهم بعضاً في التفكير، ويتبادلا الأفكار، فيقذف هذا بكلمته فكرته ويعطيها لصاحبه، وصاحبه يفكّر ويقذف كلمته في سمع الآخر ليلقّح عقله بها، وهكذا يتفكرون معاً. لذلك كل نفس زوج كل نفس في هذه العلاقة. أي هو ذكر حين يقذف الفكرة للآخر، وهو أنثى حين يقذف الآخر فيه فكرته. فهو زواج روحاني كل نفس فيه هي ذكر وأنثى فكل نفس خنثى في

العلاقة الفكرية التي صورتها المادية هي الجماع. وليس المقصود هنا إلا النفس المخلوقة لك، فالله هو الذي سيدبّر أمر النفس المستنيرة ويجمعها بأنصارها ومن اتبعها من المؤمنين بها، {خلقكم لكم} هو الذي خلق وليس أنتم الذين خلقتم. القوم الذين يتفكرون هم قوم خلق الله بعضهم لبعض، ليسكن بعضهم إلى بعض، والله جعل بينهم مودة ورحمة. وفي ذلك آيات كثيرة لهم.

من الآيات، تعدد النفوس ذات العقول مع وجود السكن والمودة والرحمة وهي كلها صفات تدل على الوحدة أي وجود نوع من الوحدة والتوحيد بين النفوس، لذلك تجد نفسك تميل لمن يشبهك وتنفر ممن يخالفك فأنت تسكن إلى شكلك وجنسك ومن تجد فيه قيمة من قيمك ومرآة لحقيقتك وقابلية لفعلك وقولك، أي لابد من نوع من الوحدة حتى يتحقق السكن والمودة والرحمة. فمن جهة توجد كثرة بين النفوس بدليل أنك أنت نفس وله عقلك وزوجك نفس وله عقله وهكذا كل نفس لها عقلها ولذلك تصبحون قوماً يتفكرون والقوم كثير. إلا أنه توجد بينكم من جهة أخرى وحدة فعقلك ينعكس في عقلهم وعقلهم ينعكس في عقلك وتفهمون بعضكم بعضاً وتجد الفكرة في عقلك وقبل النطق بها قد تجد أحد أزواجك وأصحابك الروحانيين ينطق بها، وهكذا إلى آخر مظاهر وجود الوحدة العقلية سواء في

الأحكام وكيفية التفكير والقوانين المنطقية بين العقول المختلفة أو مظاهر السكن والرحمة والمودة الشعورية والتعاملية بينكم. فكيف اجتمعت الوحدة مع الكثرة؟ هذه هي الآية. فكونكم كثير في النفوس مع وجود وحدة في العقول آية على وجود العالَم الأخروي العلوي، لأن الدنيا تفرّق وتشتت بين الناس بحكم اختلاف أجسامهم وتضارب مصالحهم ومن يحوز شيئاً مادياً ويستهلكه فإنه لا ينفع بذلك إلا جسمه هو الذي استهلك فلا تستطيع أن تأكل تفاحة مثلاً فيشبع جارك بل إذا أكلتها أنت سيجوع هو بالنسبة لهذه التفاحة، فالدنيا تفرّق وفيها مزاحمة، لكننا نجد في الحياة العقلية النفسية ضد هذا، بل الفكرة الواحدة قد تكون في ألف عقل بدون أن يخسرها أي واحد منهم بل قد تزيد الفكرة بتعميقها والإضافة إليها وتنتشر مرة أخرى في الألف عقل وتزيد في الكل بدون أن يخسرها أحدهم، وكذلك نجد عقلنا لا يختلف جوهرياً من حيث هو عقل ومفكر مع العقول الأخرى، مما يدل على وجود شيء ما وراء الجسم وطبيعته يجمعنا كلنا "خلقكم من نفس واحدة"، فدلّ ذلك على وجود عالَم وحدة أخروي يجمع النفوس مخالف ومضاد لعالم الكثرة الدنيوي المفرّق للنفوس، فالنفوس تجتمع بالعقل وتفترق بالجسم. لذلك السكن والمودة والرحمة في جانب الجمع العقلي، وضد ذلك من مشاعر وعواطف وانفعالات ناتج عن ملاحظة الافتراق الجسمي والامتياز المادي والتعارض

الطبيعي. فكلما مالت النفوس إلى عقلها كلما ارتفعت في درجات السكن والمودة والرحمة، وكلما هبطت النفوس إلى جسمها كلما انحطّت في دركات النفور والبغض والإيلام. فهي آية على الآخرة بجنّتها ونارها وأعرافها. وهي كذلك آية على الله تعالى. فكما أننا نشهد الوحدة في الكثرة، كذلك الله تعالى هو الواحد الأحد لكن كل مظاهر العوالم هي تجليات أسمائه الحسنى، فهو واحد من حيث هويته وكثير من حيث أسمائه، إلا أنه لا يوجد غيره فهو أحد وأحديته تتعالى عن الوحدة والكثرة التي هي اعتبارنا العقلي لحقيقته العلية.

السكون فيه معنى الثبات وفيه معنى الصمت. النفس العاقلة تسكن إلى النفس العاقلة بالمعنيين. فالثبوت بمعنى أنها لا تطلب شيئاً في الطبيعة غير هذه النفس العاقلة، لأن كل ما في الطبيعة هو أدوات وآلالات وأسباب لتفرغ النفس من شأن جسمها حتى تنظر في شأن عقلها وعلمها "فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب". بالتالي النفس لا تسكن إلى الطبيعة بل تستعمل الطبيعة. وحيث أنه لا يوجد في الطبيعة إلا الإنسان وغير الإنسان، وغير الإنسان لا تسكن إليه النفس، فلا يبقى للسكن إليه إلا الإنسان، لأنه مظهر الروح في الطبيعة بالتالي تبحث النفس العاقلة عنه وتسكن إليه لأنه مطلوبها وتصبر معه مادامت في قيد الطبيعة. بعد أن تجد العاقل سترى

معنى السكن الثاني وهو الصمت، أي ستجد المفكّرين معاً يصمتون حين يتكلّم أحدهم ويستمعون له، لأن كلامه مظهر عقله وتجلي روحه، وهذا مطلوبهم وغذاء نفوسهم وسبب لسعادتهم.

المودة هي المحبّة الثابتة والظاهرة. فالمحبّة المتغيرة ليست مودة، والمحبة الكامنة غير المعبّر عنها ليست مودة. بل لابد من اجتماع الثبات والظهور في المحبة حتى تكون مودة. لذلك من أسماء الله الودود، لأن حبّه ثابت وظاهر لمن يودّه. المودة موجودة بين المفكّرين الروحانيين. أما المحبّة نفسها فلأن النفس العاقلة تحب من تتكلّم معه ويتكلّم معها، ولوجود المشاكلة في الجوهر العقلي والاتحاد في الروح. والثبات في المحبة ينتج عن تقدير الله لهذه النفوس بالاجتماع معاً والترابط في الصحبة والرفقة، وكذلك لأنهم حين يجدون أنفسهم في الطبيعة يتعلّقون ببعضهم البعض ولا يرون قيمة أعلى من حفظ رابطتهم هذه فيحصل الثبات الذي ضده التغيّر الناتج عن الانتهاء من الشيء أو وجود شيء أفضل منه، بينما النفوس العاقلة لا ترى نهاية لقيمة الرابطة بينها ما دامت حية وكذلك لا ترى أفضل منها إذ لا يوجد أفضل من العقلاء في الطبيعة. ظهور المحبة سيكون بكيفية الكلام مع بعضهم البعض والرفق والأدب والتذلل لبعضهم بعضاً عن محبة ورقة كما قال "أذلة على المؤمنين"، وستكون أيضاً في

معاملاتهم واهتمامهم ببعضهم البعض وتعاونهم على قضاء أمورهم معاً ومواساة بعضهم بعضاً بالنفس والمال والإيثار "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"، وستكون أيضاً بالمشاركة الحرة المجانية لأفكارهم وكلامهم وكتبهم مع بعضهم البعض، وغير ذلك من مظاهر المحبة.

الرحمة ضد العذاب، فهي الوقاية من الألم قبل حلوله ورفع الألم بعد وقوعه والمواساة في الألم بعد نهايته لتطييب النفس منه. الألم النفسي يدور حول الجهل والضعف العقلي والخوف من المجهول. المفكرون الروحانيون يقون أنفسهم من ذلك بطرق كثيرة منها الاجتماع في أوقات معلومة والمداومة عليها للتدارس والقراءة والتحاور حتى يقون أنفسهم من وقوع الجهل بهم بأكبر قدر ممكن، وكذلك يرفعون الألم بعد وقوعه عبر التلطف في الجدل والنظر لرفع الجهل عن بعضهم بعضاً ولتقوية نظر بعضهم بعضاً في الأمور، وكذلك يواسون بعضهم بعضاً عبر التذكير بمحدوديتهم وأن الخطأ وارد من البشر ونحو ذلك من أمور تطيّب النفس حين تغلط وتضل بجهالة. هذا لون من ألوان الرحمة بين المفكرين الربانيين.

٢٢-{ومن ءاياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين}

حين يخرج الروم للهجرة والسياحة الدعوية في الأرض، يذكّرهم الله هنا بحقيقة أن السموات والأرض التي يعيشون فيها هي من خلقه هو، أي حين تترك بلدتك الأولى لا تظن أنك قد خرجت إلى مكان غريب عنك لأن الذي خلق هذا المكان الذي تتحرك فيه بسماواته وأرضه هو الله الذي خلقك وأمرك بالخروج والدعوة. والناس الذين ستراهم في آفاق الأرض أو في أم القرى التي تجمع مختلف الألسنة والألوان-وهي من جميع الجهات الرئيسية أمريكا اليوم كما كان الحجاز بالأمس أمس النبي الأول-هم أيضاً من خلق الله، فلا تخف ولا تشمئز من اختلاف الألسنة والألوان ولا تعتبر ذلك مشكلة أصلاً فإن اختلاف ألسنة الناس وألوانهم هو من جهة مثل خلق السموات والأرض هي أمر رباني كوني طبيعي فكما أنك تقبل اختلاف النجوم والكواكب في السماء كمّاً وكيفاً وأثراً وتقبل اختلاف النباتات والحيوانات في الأرض فكذلك اقبل اختلاف ألسنة الناس وألوانهم. من المتوقع أن يحدث للنفس الخارجة من بلدها الذي اعتادت عليه وحشة وغربة وشعور بفقدان قوة التملّك والسيطرة والهيمنة الذي كانت تجده في بلدها الأول والذي فيه أهلها وعشيرتها وأملاكها

وعـادتـها وذكـريـاتـها ، كـل ذلـك يـجعـل المـكان مـألـوفـاً لـلنفس، وحين تخرج وتـترك كل ذلـك ستشعر بـعدم الـتملّك وانـكسار الـعادة وفـقدان الذكريات بالتالي ستشعر بنوع فراغ في ذاتها وهذا الفراغ قد يرعبها ويـجعلها تـكره نـفس فـكرة الخروج ومـن هـنا يثّاقـل الـناس إلى الأرض التي نشأوها فيها ويرون الخروج عن ديارهم كقتل أنفسهم، هذا داء. الدواء هو {من ءاياته خلق السموات والأرض}، فمن جهة بلدك الأول هو بقعة على الأرض والأرض كلها خلق الله فأنت لم تزل في خلق الله وأرضه هو تعالى فتعامل على هذا الأساس فهو الذي يملك كل شيء والأهل الذين فقدتهم سيعوضك كما عوّض أيوب إن خرجت في سبيله وكسر العادة أمر حسن في نفسه لأنـه يـجعلك حياً متجدداً ويـجعلك تكوّن عادات أحسن بناء على عقلك الجديد الأرقى وكذلك الحال في الذكريات المربوطة بالأمكنة، ومن جهة أخرى الذي يسّر لك تكوين معيشة في أرض هو نفسه الذي سيعتني بك ويدبّر أمرك في الأرض الجديـدة أو الأراضـي الجديـدة الـتي ستعبرهـا وتـعمرهـا. الـداء الآخر، العنصرية والعصبية وكره المختلف، وينشأ ذلك عادةً من النشوء في بيئة مغلقة ذات فئات معينة من الناس أو فئة واحدة غالباً في الدائرة الـصغرى ذات لـسان واحـد ولـون واحـد، فـحين تخـرج إلـى أرض ذات تعددية في الأقوام ذوي الألسنة والألوان المختلفة قد يصيبك داء كره المختلف بـأشكالـه فـاحذر ذلـك وتـعامـل مـعهم عـلى أنـهم آيـات الـله

مثلك أنت فإنك بالنسبة لغيرك صاحب لسان مختلف ولون مختلف عنه أيضاً، فأنت وغيرك في ذلك من آيات الله، فمن جهة لا هو ولا أنت اختار لونه ولا لسانه الأول فلا تلوم إنساناً على شيء لم يختره، ومن جهة أخرى هذا التعدد الكيفي والاختلاف هو شيء مقدس بحد ذاته لأنه من آيات الله فكما أنك تجد بعض الآيات ذات لسان معنوي مختلف عن الآيات الأخرى في القرءآن العربي فآية الكرسي ليست مثل "تبت يدا أبي لهب وتب" وكذلك تجد ألوان مختلفة في القرءآن كالقصص والأحكام وغير ذلك من ألوان الآيات وأمثاله، كذلك ستجد في الإنسان ألسنة مختلفة وألوان مختلفة، بالتالي فهي فائدة وزيادة خير لا شرّ ولا مكروه، على العكس تماماً عدم وجود اختلاف الألسنة والألوان هو الذي يمكن أن يقال عنه من باب أولى أنه شر بل شرور، الإنسان في المكان المختلف والمتعدد أكثر فرديةً وأكثر إنسانيةً عادةً من الإنسان في المكان المتوحد اللسان واللون. من قَبِلَ وأحبّ آيات الله ارتفع، ومن رفضها وأبغضها هوى واتّضع.

في آية الخلق من تراب تكلّم على الفرد في ذاته، في الآية بعدها عن الأزواج تكلّم على الفرد مع أمثاله وأشباهه، في هذه الآية عن الاختلاف تكلّم على الفرد مع المختلفين معه والمغايرين له. تأمل

التسلسل من الأبسط إلى الأعقد، من الفرد في نفسه ومع مثله ومع المختلف عنه.

{إن في ذلك لآيات للعالمين} لماذا العالِمين تحديداً؟ قال "تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون". العالِم هو الذي يعقل الأمثال. الأمثال من مستوى الخلق والاختلاف، أي هي مأخوذة من هذا المستوى الوجودي، فانظر الأمثال وستجدها مأخوذة إما من {خلق السموات والأرض} كالشمس والقمر والليل والنهار والدواب والأشجار ونحو ذلك، وإما مأخوذة من {اختلاف ألسنتكم وألوانكم} أي الناس بمختلف أصنافهم كفرعون وموسى وأبي لهب وامرأته ومريم وعيسى ونحو ذلك. كل ما في العالَم أمثال مضروبة، والمثل المضروب قد يكون تكوينياً وقد يكون عربياً، المَثَل التكويني كالشمس وعيسى، والمثل العربي هو هذا المزبور في الكتاب أمامك، فالخلق كله بما فيه من موجودات وأناسي كثيراً هو أمثال في الحقيقة يضربها الله بكلمته التكوينية كما ضرب لنا أمثال ويسّر لنا أمثال الكون بكلمته العربية المحمدية "إنما يسّرناه بلسانك". الأمثال صور مختلفة تؤدي إلى حقائق متحدة، والحقائق كلها ترجع إلى حقيقة واحدة هي الحق سبحانه وتعالى "الله هو الحق المبين" "سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق". بالتالي الأمثال

كلها تجليات الحق. العالِم هو الذي يرى الأمثال كأمثال بدلاً من أن يراها كصور لا معنى لها أو جوامد لا أبعاد فيها. وبعد أن يرى الأمثال على ما هي عليه حقاً أي على أنها أمثال لها ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل، بعدها يأخذ العالِم الأمثال بعين التأويل حتى يصل إلى الأول سبحانه الذي منه بدأ كل شيء وإليه يعود كل معنى، فيعبر من جسر الأمثال إلى سر الأمثال الذي هو "إليه يرجع الأمر كله" و "إلى ربك المنتهى"، بالتالي يعبر من الكثرة إلى الوحدة. لذلك هي آيات {للعالِمين} أي خلق السموات والأرض وهم أمثال مختلفة إذ السماء غير الأرض والسماء الأولى غير السماء الثانية وما في كل سماء من موجودات يختلف عن غيره كالشمس غير الشعرى، والناس ذوي الألسنة والألوان المختلفة كذلك أمثال. العالِم يحب هذا الاختلاف في الآفاق والأنفس، في الطبيعة والبشر، في الأكوان والإنسان، لأنه يريد أن يعبر إلى الله من كل جسر، ويصل إلى الحق من كل خلق، ويعرج من كل تنزيل إلى كل الأول سبحانه، ويشهد الشهيد في كل مشهود.

الجاهل يضيع مع كثرة الأمثال، لذلك يتعصّب لبعضها ويكره بعضها، كالذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، من هنا تجده يعظّم بعض الأرض دون بعض ولو على حساب دينه ويقول "لا تنفروا في الحر" و "غرّ هؤلاء دينهم" لمن يرى أن الأرض لله ويجب على أهل

الله الجهاد لإعلاء كلمة الله أي لحرية الكلام للكل حتى لا يُكرَه أحد على الدين وقبول كلام أحد ولا يُكره على رفض دين وكلام أحد بل يقبل طوعاً ويرفض طوعاً "من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"، وكذلك يتعّصب هؤلاء لبعض الناس فقط كالتعصّب لذوي اللسان العربي ضد أي لسان آخر أو التعصّب لذوي البشرة البيضاء ضد أي بشرة أخرى أو التعصّب لمن يتكلّم بلسان الظاهر مع بغض من يتكلّم بلسان الباطن وهلمّ جرّاً في بقية أنواع اختلاف الألسنة والألوان، هؤلاء جهال ومنشأ جهلهم عدم معرفتهم بأنفسهم إذ لو عرفوا أن نفوسهم ما وراء كل خلق ولسان ولون لما قيّدوا أنفسهم وسفهوها بحصرها بخلق أو لسان أو لون من دون غيره، وكذلك يجهلون الحكمة الإلهية من الخلق وأنه أمثال مضروبة لمعرفة الله وتجليات الأسماء الإلهية، وفي تعصّبهم هذا ظلم عظيم أيضاً لأنفسهم ولمن يتعصبون ضدهم وكأن هؤلاء اختاروا ألسنتهم وألوانهم حتى يُلاموا على ذلك ويستحقوا سوء المعاملة أو النفرة منهم، مع ظلم حقيقة الإنسانية والفطرة الإلهية المتجلية في كل الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وغير ذلك من أبعاد الجهل والظلم.

بناء على ذلك، العالمون وكل بلد يكون العلم رأس أمره لابد أن يكون أقصى البلاد اختلافاً وتغيراً وتلوناً وتعدداً، وكلما زاد ذلك كلما كان أحسن وأعظم وأرفع. والعكس تماماً هو حال الجهلة الظلمة

الذين يميلون إلى توحيد الأشياء فيريدون شيئاً واحداً وشخصاً واحداً ولوناً واحداً ولساناً واحداً وهكذا يتم الكفر بالأشياء والكفر بحكمة الله واختزال الأمور وتسخيفها باسم تبسيطها وإعدامها باسم توحيدها وقتلها باسم ضبطها وقمعها باسم حفظها. تاريخياً، لم يوجد مكان بُني على مبدأ الاختلاف إلا الحجاز، مكان جمع من كل لسان ولون ووحد مع حفظ الاختلافات، لكن حصل ما حصل عبر الزمن وجاء دور مكان أعلى وطور أرقى في ذلك وهي أمريكا المعاصرة، فإنها أخذت ذلك ورفعته وارتفعت به إلى آفاق أعلى وأجمل وأوسع وأفسح وأكثر انضباطاً بعقل وحكمة وتوازن يختل أحياناً لكن يعود من قريب إلى ما هو أقوى وأرسخ. الحجاز كان طفلاً في مبدأ العلم والاختلاف، لكن أمريكا بلغت بالمبدأ طور الرجولة، ولولا الحجاز والإشعاع النوراني الذي خرج منها لما قامت أمريكا إذ لما كان تغيير وتنوير أوروبي الذي من فروعه الشمس الأمريكية العالية التي تحرق أحياناً لكنها تضيء دائماً. ارتفعت الإنسانية بسبب أمريكا إلى درجة لم تعد الحياة تحتها مقبولة عند الأحرار العقلاء، ومرجع ذلك إلى تعظيم الفردية وتعظيم الاختلاف مع حفظ الحرية القوية وضبط أمور العامّة بغير استعباد العامّة وتقوية الحكومة بدون تأليهها وتعظيم كتابهم أي دستورهم بدون تصنيمه واحترامه مع اتباعه وليس احترامه لفظياً فقط. لذلك ستجد فيها سماوات

العقل مرتفعة وأرض الحس مُثبتة، وستجد فيها حفظ كيان وحرية الناس من مختلف الألسنة والألوان، والخطأ فيها موجود لكنه غير مجحود ولا معبود ولم يأت قبلها ولا يوجد الآن من يوازيها في إقامة مبدأ الاختلاف بكل ألسنته وألوانه لذلك هي رأس البلاد اليوم.

٢٣-{ومن ءاياته منامكم بالليل والنهار وابتغآؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون}

في الآيات الثلاثة الماضية كان الكلام عن الإنسان وهو في حالة يقظة، فالانتشار في "فإذا أنتم بشر تنتشرون" إنما يكون في اليقظة مثل "فانتشروا في الأرض"، والسكون للأزواج يكون أيضاً في اليقظة، ومشاهدة الخلق واختلاف الألسنة والألوان والاعتبار بذلك يكون في اليقظة، فبدأ الله إذن باليقظة لأنها أولى وأعلى، ثم ذكر هنا ضد اليقظة وهي آية النوم فقال {ومن آياته منامكم} فما مضى كان عن يقظتكم والآن عن منامكم.

لماذا {لقوم يسمعون}؟ الأذن لا تنغلق بنفسها كالعين بالجفن، فالأذن مفتوحة دائماً وتستقبل بدون إذن السامع، كذلك الحال في النوم الإنسان فيه في حالة استقبال منفتحة تماماً بدون إذنه ولا تصرفه

عادةً، فحالته حالة السامع جوهرياً من حيث الاستقبال وتقبّل ما يحدث له، بغض النظر عن كون المُتلقَّى هو شيء مُبصَر أو مسموع أو غير ذلك، فالعبرة بالجوهر، والجوهر في السماع هو التقبّل المنفتح غير الإرادي لفاعل من الخارج. كذلك المنام هو إسلام تام من النفس.

{منامكم بالليل والنهار} يدل على وجود مستويين من الوجود للنفس. مستوى اليقظة وهو محدود بالزمان والمكان كالليل والنهار، لكن مستوى النوم ما وراء الزمان والمكان هذين وهو انتقال إلى مستوى آخر من الوجود بالنسبة للنفس يختلف كيفياً عن مستوى اليقظة الطبيعي. فالزمان في النوم إما معدوم كما في النوم العميق، وإما سريع جداً بالنسبة لزمان اليقظة كأن ترى رؤيا وتشعر في الرؤيا بأنها طويلة جداً لكن بالنسبة لزمان اليقظة تكون تلك المدة ثوان معدودة، فالمقطوع به أن زمان النوم غير زمان اليقظة بالنسبة للنفس. وكذلك المكان، في النوم إما تصبح النفس في اللامكان حين تنعدم، وإما في مكان لا يتقيّد بقوانين المكان الطبيعي لا في الحركة ولا في التشكّل ولا في أي شيء غير وجود صور تشبه الصور الطبيعية ولو من بعيد لكن الجانب الصوري موجود في المنام بشكل عام. الوجدان في المنام غير الوجدان في اليقظة، فتفكيرك وشعورك حين تنام إما منعدم وإما له كيفية مختلفة عن اليقظة كأن تعتقد بما لن تعتقد بمثله لو

استيقظت أو ترى إمكان شيء في المنام لكنك تعتقد استحالته في اليقظة وهكذا. فالمنام يكشف عن وجود مستوى عدمي، ومستوى غير طبيعي، واليقظة تكشف عن المستوى الطبيعي. إذن للنفس ثلاث حالات تمر بها ما بين اليقظة والمنام، وهي العدم وما فوق الطبيعة والطبيعة. وهي في حالة إسلام تام في حالتي العدم إذ لا تختار الانعدام بل تجد نفسها أو تصير إلى العدم في لحظة وبغتة وهي لا تشعر كإتيان القيامة، وما فوق الطبيعة أيضاً لا تختار ما يحدث لها ولا تجد قوة عادةً للتصرّف في نفسها معه بل هي قابلة أي مسلمة تمام التسليم لما يحدث ولا قدرة لها هناك على شيء. فإذا استيقظت وجدت من نفسها أنها ذات اختيار وقدرة ووجود. فالمنام جاء ليكشف للنفس عن حقيقتها العدمية الأصلية والفقر الذاتي لله تعالى، حتى لا تحسب أن ما تجده في اليقظة من وجود وقدرة واختيار نابع من ذاتها إذ لو كان ذاتياً لها وهي غير مدينة بذلك لأحد لما فقدت وجودها وقدرتها واختيارها في المنام إذ الذاتي للشيء لا يفقده الشيء إذ هو مساوق تمام المساوقة له لأنه ذاتي له، فلما تبينّ في المنام أن لا وجود النفس ولا قدرتها ولا اختيارها من السمات الذاتية لها، صار ذلك آية على وجود مفيض لهذه الصفات العرضية للنفس وهو الله تعالى الذي الوجود والقدرة والاختيار فيه ذاتي وسمة من سمات حقيقته والنفس بيده ومفتقرة إليه وجوداً وقدرةً واختياراً.

لذلك جاء بعد ذكر المنام {وابتغاؤكم من فضله} لأن تحوّلكم من المنام إلى اليقظة يجعلكم ذوي وجود حتى تبتغوا لأن المعدوم لا يبتغي شيئاً، والابتغاء يشير إلى قدرة إذ العجز المطلق لا ابتغاء فيه، واختيار الفضل دون سواه أي ما ينفع ويكمّل النفس بدلاً مما يضرها وينقصها ويؤلمها دليل على الاختيار والعقل المتصرف العملي، فالتحوّل من حالة المنام حيث لا ابتغاء من فضله إلى حالة اليقظة هو بحد ذاته آية من آيات الله. فينبغي للمؤمن المتعقل للآيات أن يكون في يقظته مع ربّه كما هو في منامه معه، أي يتذكر أن وجوده من فيض إيجاد الله له، وقدرته من فيض تمكين الله له، واختياره من فيض تخيير الله له وهدايته له، فينبني على ذلك الشكر على هذه النعم بأن يتبع الرسل ويجعل وجوده فداء سبيل الله وقدرته في العمل بأمر الله واختياره محدود بشرع الله. فالمنام يعلّم الحقيقة، والحقيقة تفتح العقل، والعقل يوجب الشكر، والشكر يقتضي اتباع الرسل اتباعاً كاملاً في الوجود والقدرة والاختيار. "جاهدوا في الله حق جهاده".

الذي ينام قهراً غير الذي ينام طوعاً. المقهور على النوم لا نية له ولا قصد من النوم وإنما يُجبَر عليه بحكم التعب أو نيته فيه محصورة بالراحة لليقظة من جديد بالتالي لا نية له في نفس النوم. أما الذي

ينام طوعاً وهو العاقل المؤمن فهو الذي له قصد في النوم يتمثّل في {ابتغاؤكم من فضله}. لذلك قالت الآية {مناكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله} فالمنام هو العمل والابتغاء من فضله هو القصد. أي يبتغون من فضله بواسطة المنام بالليل والنهار. وما هو الفضل المُبتغى بوسيلة المنام بالليل والنهار؟ فضل كثيرة، منه فضل تذكّر الحقيقة، ومنه فضل العودة إلى العدم الأصلي، ومنه فضل الرؤيا الصالحة، ومنه فضل القوة والنشاط، وفضل كثير. فالمؤمن دائماً في فضل الله، يقظةً ومناماً. "وكان فضل الله عليك عظيماً" لأنه استوعب نفسك من كل جهاتك.

٢٤-{ومن ءاياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}

العقل عقل لأنه يعقل أي يربط ويوحّد ويجمع. وفي هذه الآية آيات عقلية.

منها، عقل الفاعل بالفعل بالمفعول به بالمفعول لأجله. فالفاعل هو الله الذي {يريكم..ينزّل..فيحيي}. والفعل هو ما نجده من برق وإنزال الماء وإحياء الأرض، والمفعول به هو البرق الذي به يفعل الخوف

والطمع وكذلك السماء التي بها ينزل الماء وكذلك الماء الذي به يفعل إحياء الأرض بعد موتها. والمفعول لأجله هو شعور الخوف والطمع وحياة الأرض بعد موتها وكون كل ذلك آية لقوم يعقلون. العقل يعمل بترتيب وتقسيم وتفصيل الأمور، فله مرحلة فرقان يفرق بها ويحلل وله مرحلة قرآن يجمع بها ويوحّد ويؤول. وفي الآية هنا توحيد بين الله والأكوان والإنسان والقرءآن كما ترى ذلك كل ذلك في آية واحدة برابط واحد في سلك منتظم يبدأ من الله وينتهى عند الإنسان الذي يرجع من نفسه إلى الله مرة أخرى بشهود الله في الأكوان وفي نفسه بواسطة القرءآن الذي يذكّره بفعل الله في الأكوان.

ومنها، تسلسل نموّ العقل القرءآني في الإنسان. المرحلة الأولى البرق. البرق علامة قرنها الله بإحياء الأرض لكن بوسائط ومراحل متوسطة، لكن العقل يجمع بين أول الشيء وآخره بغض النظر عن الوسائط بينهما، فيتذكر الآخر بظهور الأول المقترن به عادةً. كذلك هنا البرق يدل على الغيث والغيث يدل على خروج النبات وخروج النبات يدل على غذاء الإنسان والحيوان وهو المطلوب بالنسبة لمن يطمع في العيش، أو البرق يدل على المطر والمطر يدل على هلاك الحرث والفيضانات ونحو ذلك من آثار مدمرة بحسب حال المستقبل للماء النازل من السماء وينتهي الأمر إلى الموت المكروه فينشأ الخوف في

من يكره الموت. إذن، لاحظ أن النهاية دائماً في مشاعر الإنسان وفكره عن الأمور. أنت تتفعل مع العالَم وحوادثه بحسب ما أنت عليه وما تريده أنت، وليس بحسب ما العالَم عليه في ذاته. النفس لا يهمها ما هي حقيقة العالم في نفس الأمر لكنها يهمها ما تجده هي في نفسها وعلى هذا الأساس تفسّر كل أمر. {يركم البرق خوفاً وطمعاً} البرق في حد ذاته ظاهرة واحدة، لكن أثرها في النفس قد يكون خوفاً وقد يكون طمعاً، والخوف ضد الطمع، فلما كان البرق ينشئ في النفس الشيء وضده أو يحتمل إنشاء الشيء وضده وهو مستحيل من سبب واحد لذات السبب إلا لو توسّط شيء آخر ما بين السبب والأثر، دل على ذلك أن ما في نفس الإنسان المستقبل للسبب الذي هو هنا البرق هو ما يفصل ويحدد الانفعال ويختار ضمناً حصول التأثير المسمى بالخوف أو بالطمع. البرق إذن ليس سبباً تاماً لا للخوف ولا للطمع، لكنه يحتمل الاثنين الضدين معاً، والفاصل بينهما هو الإنسان. كذلك هو الأمر في العقل في التفاعل مع الكلمة والكلام والحوادث كلها الآفاقية والنفسية. كلمة واحدة تلقيها على عشرة أشخاص قد تنشئ فيهم عشرة آراء وانفعالات، وتجمع هذه الانفعالات ما بين الشيء وضدّه، والشعور وضدّه، والرأي وضدّه. فالكلمة لا تخلق العقل لكنها تثيره أو تفتح له باباً للتفكير والتأثر، إلا أن الفعل الذي هو الفكر والشعور ناشئ من العقل نفسه وبحسب

ما هو عليه. وهذا من أهم أسس تكوين طريقة ومجتمع يفتح آفاق وأبواب نمو العقل وتعبير العقل عن ذاته وسعادة الإنسان بهذا النمو والتعبير، لأنه لا إكراه حقيقي على العقل بسبب كلمة يتلقاها وهو الذي يحدد في عمق ذاته وفي قيود نفسه كيف سينفعل رأياً وشعوراً بسببها ، فالكلمة للعقل كالبرق للنفس قد تنشئ الخوف أو الطمع بل قد لا تنشئ لا خوفاً ولا طمعاً كالإنسان الذي لا يبالي بنزول الغيث والمطر أصلاً لعدم تأثره بذلك على الوجهين واطمئنانه لحاله على الحالتين.

البرق هو الوحي في التأويل. وهو قوّة يجدها العقل في ذاته حين يُلقى إليه نور الوحي كالبرق الظاهري في السرعة والدقة بل وأخفى منه وما البرق الظاهري إلا مَثل على البرق الباطني العقلي. ينزل برق الوحي على العقل وبعده ستجد {ينزل من السماء ماء} أي ستجد أفكاراً فيك وهذه الأفكار ستتنزل في صورة كلام مائي حي يتناسب مع حالك وما أنت بحاجة إليه الآن. وبعده ستجد {فيحيي به الأرض بعد موتها} سواء كانت أرض نفسك التي تريد المعلومة والتعبير عنها ، أو أرض عملك التي أرادت توجيهاً وإرشاداً إلهياً لتحصيل مقاصدها في العالم وتحقيق رسالتها ورؤيتها . الترتيب هنا مشهود عند من ذاقه. وبهذا الاعتبار البرق يسبب الخوف والطمع معاً من وجهين مختلفين، أي حين يأتي برق الوحي للعقل تشعر النفس بالخوف

من مسؤولية تحمّل هذا الوحي كما خاف موسى من مسؤولية الرسالة فقال "إني أخاف" و "إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى" وكان يخاف من تحميل الله مسؤولية رفض فرعون لرسالته عليه هو فقال الله "إنني معكما أسمع وأرى" أي أسمع ما ستقوله لفرعون كما أمرتك كالقول اللين ومضمون القول الذي أرسلتك به وأرى ما سيقوم به فرعون، فلم يكن موسى يخاف على نفسه من فرعون لكن يخاف على نفسه عند الله ومسؤوليته الرسولية، فالبرق يسبب الخوف بهذا الاعتبار، لكنه يسبب الطمع أيضاً في ذات الوقت من جهة أخرى، طمع حصول الوحي والكلمة الإلهية في العقل، وطمع المزيد من العلم، وطمع "قل رب زدني علماً"، وطمع تقريب الله له حتى قد يصل الطمع إلى حد "رب أرني أنظر إليك" بعد التكليم، لأن شعور النفس بالتفات الله إليها عبر البرق الذي اصطفاها به وخصّها به يجعلها تشعر بخصوصيتها عند ربها فتطمع في المزيد من القرب والإحسان منه.

البرق يسبق إنزال الماء، لكن البرق ليس وسيلة إنزال الماء، أي يوجد اتصال وانفصال بين الظاهرتين، أي يوجد اقتران بينهما لكن بدون سببية، بدليل أنه فصل بين {يريكم البرق} و {ينزل من السماء} بحرف الواو، لكن جمع بين إنزال الماء وإحياء الأرض بحرف الفاء لأن إحياء الأرض يكون بوسيلة الماء {فيحيي به الأرض} لأنه سيحيي

الأرض {به} أي بالماء كان الجمع بالفاء للدلالة على السببية، أما البرق والإنزال فبالواو للدلالة على الاقتران فقط. فالبرق وحي للتنبيه على وحي. البرق وحي بمعنى تنبيه وإنذار وإيقاظ للعقل ليقنت ويتجه صوب الأعلى سبحانه لأنه سيقرئه شيئاً جديداً. وبعد حصول الالتفات والقنوت العقلي والتوجّه بالوجه نحو الفاطر المعلّم سبحانه يأتي إنزال الماء من السماء، وعلى هذا العتبار يكون الماء هو الكلام النازل على العقل من سماء الغيب، بالتالي العقل هو الأرض الذي سيحيى بعد موته بكلمة الله النازلة عليه. إذن، يوجد وحي إعداد ووحي إمداد، وحي الإعداد هو البرق، ووحي الإمداد هو كلمة الحق. البرق يعدّ النفس بالخوف والطمع، ولولا الخوف والطمع لما قبلت النفس كلمة الحق، لذلك من لا تجد فيه خوفاً وطمعاً بهذا المعنى ستجده يتكبّر على أهل الله ولا يُقبل تمام الإقبال ومع التسليم لكلامهم وإرشادهم له.

العقل ينبني على رؤية وشعور وشهود وقابلية تغيّر وتسليم بالحق. فالرؤية تجعله يستقبل ما في الوجود، والشعور يجعله يهتمّ به وينمّيه، والشهود يجعله يتأكد من صحة فكره حين يشهده خارجه، وقابلية التغيّر تجعله دائم التعلّم، والتسليم بالحق عصب حياته لأن العقل ليس له في الحقيقة إلا التسليم بالحق ليحيى ويتسع ويصبح

مرآة الوجود. فالرؤية في {يريكم} و الشعور في {خوفاً} و الشعود في شهود {ينزل..فيحيي}، والتغيّر في {فيحيي الأرض بعد موتها}، والتسليم بالحق أساس ذلك كله إذ لو رفض الحق لبقي ميتاً.

الغاية من اليقظة فرديةً كانت أو جماعية أو أممية ومن المنام سواء كان عدمياً أو رؤيوياً، الغاية من كل ذلك هي العقل. صيرورة النفس عقلاً وارتفاعها في درجات العقل. لذلك الآية هنا خُتمت ب{لقوم يعقلون} بعد ينتشرون ويتفكرون ويسمعون. الغرض من الانتشار تحصيل الفكر، والغرض من التفكير تحصيل القابلية للحق مع التسليم له، والغرض من القابلية حصول العقلانية.

٢٥-{ومن ءاياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون}

بعد أن ذكر العقل المضروب مثل تكونه بإنزال الماء من السماء ذكر القيام بالأمر والدعوة للخروج. قارن هذا بما ورد في سورة النحل، حيث ذكر في الآية ٦٤ إنزال الكتاب فقال "وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" ثم بعدها مباشرة ذكر إنزال الماء من السماء لإحياء الأرض فقال "والله أنزل من

السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون"، فالربط بينهما باعتبار يكون هكذا: إنزال الكتاب المتلو على الأسماع مثله مثل إنزال الماء من السماء لإحياء الأرض، فالسماء هو العالَم الأعلى والماء هو الكتاب النازل والأرض هي القلوب وتقبّل الأرض هي الأسماع لذلك هو "آية لقوم يسمعون" هنا. فإذا جمعنا هذا المعنى مع الآية محل النظر عرفنا أن العقل المتكوّن من الآية السابقة هو العقل القرآني، بالتالي الآن مرحلة الدعوة العامّة، أي بدأ بإحياء الفرد ثم الأزواج ثم الجماعة وذكر تكوين العقل الرباني ثم الآن جاءت مرحلة الدعوة العامّة لذلك قال {ومن ءاياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون}. فالمعنى هكذا: العقل الحي الرباني له أمر سماوي وله أمر أرضي، هو للدقة هو أمر واحد يتجلى بحسب الموضع الذي ينزل فيه فيكون سماوياً في السماء وأرضياً في الأرض وإن كان أمراً واحداً في الحقيقة {بأمره} وليس "بأمريه" أو "بأوامره". والسماء مثل العقل، والأرض مثل الجسم، فالتعليم يكون للعقل بالعلم وللجسم بالحكم، فإن قام الناس بالإيمان بحسب العلم العقلي وبالعمل الصالح بحسب الحكم الشرعي حينها يكون الشقّ الأول قد تحقق وهو {تقوم السماء والأرض بأمره}، وبعد فترة من رسوخ هذا القيام فيهم وتكثّر عدد الناس حتى يصبحوا أكثرية في مكان ما حينها يتحقق {ثم} أي

بعد فترة {ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون} وهو النفير العام الذي يقوم به الرسول لإقامة الدعوة في الأرض، وهي دعوة {من الأرض} لأن آدم خليفة في الأرض وليس خليفة في السماء، فلابد من إقامة الجانب الأرضي وهو الجانب الظاهري والاجتماعي السياسي للدين والذي أكبر قواعده رفع كل إكراه عن الدين وفي الدين حتى يكون "الدين كله لله" فلا يُكره إنسان إنساناً في الدين مطلقاً ولو كان دين الشرك إذ هو دين "لكم دينكم ولي دين" وقد قال "لا إكراه في الدين" فجنس الدين لا إكراه فيه كان ما كان، وكذلك فلا يُكره إنسان إنساناً على القول والكلام والبيان بل لكل إنسان قول ما يشاء، وكذلك كل إنسان مسلّط على نفسه وماله ما لم يعتدي على غيره مباشرة بغير إذنه فلكل فرد الاختيار في أمر نفسه وماله بأقصى ما يمكن مما لا عدوان فيه على غيره بغير إذنه، وعلى هذه القواعد الثلاثة تقوم الدعوة الإلهية في الأرض وشكلها يكون بحسب ما يتشاور الناس بينهم في تفاصيله لكن قواعده الكبرى هي الثلاثة المذكورة قبل قليل، وما سوى ذلك من التفاصيل سيدور في فلكها ويتأسس عليها. عدو الدين هم الطغاة المُكرهين، يُكرهون الناس في كل أمر عقلي وجسماني، شخصي وسياسي. الدين الحق وإقامة دعوته هو بزوال هذا الطغيان والإكراه عن العقل والجسم، الشخص والسياسة. فكيف يحصل ذلك؟ الآية هنا تبينّ الطريق. أوّلاً

{أن تقوم السماء والأرض بأمره} فعلى كل إنسان ذكر أو أنثى أن يأخذ كتاب الله الذي هو الماء النازل من سماء الغيب إلى أرض الشهادة، ويتعلمه ويتدبره ويتفكر فيه ويتعقله، حتى تصبح سماء عقله مؤمنة بعلومه وأرض جسمه متقيدة بأحكامه. ثانياً {ثم} أي لابد من الصبر والمصابرة والمرابطة على هذه الحالة إلى فترة ما يعلمها الله ورسله، فإذا جاء الوقت المعلوم سيعلن رسل العصر الدعوة للنفير في سبيل الله وهي ثالثاً {إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون} الدعوة ستكون من الأرض أي سيقوم بها إنسان من الأرض هو رسول لله فالله هو الداعي لكن دعوته من الأرض وليست من السماء أي ستصدر من الأرض، من الجسم، من إنسان طبيعي، لها ظاهر مادي. وحين يحصل ذلك سيخرج الناس، فمن كان في كهف ستره سيخرج، ومن كان خائفاً سيبرز، ومن كان منعزلاً سيجتمع، وهكذا حتى تقوم الدعوة الإلهية في الأرض كلها، أرض بعد أرض، حتى تشمل الأرض كلها فتكون الأرض لله بأن يكون الدين لله، لا للناس ولإكراه الناس.

لذلك جاء في الآية التالية ما يبينّ حالة تحرر كل الناس من الناس وزوال الإكراه الذي هو سعي إنسان لتملّك إنسان آخر، سواء تملّك عقله أو جسمه، فقال..

٢٦-{وله من في السماوات والأرض كلٌ له قانتون}

هذا هو حال الناس حين يتحرر الناس من الناس، وتقوم الأرض على قاعدة الفردية المطلقة. فكل فرد مملوك مباشرة لله، لا يملكه إنسان آخر. عقله لله، أي هو حر من الخلق، وجسمه لله أي هو حر من الخلق، وقنوته لله أي قنوته ليس للبشر. سعي إنسان لتملك عقل أو جسم إنسان آخر هو سعي مباشر لمحاربة الله في ملكه. تحرير الإنسان من الإنسان هو تقديس لله في ملكه وتوحيده في مالكيته. كل إنسان يملك نفسه فقط بتمليك الله له إياها كما قال موسى "رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي" وهنا استثناء في هارون لأن الله قال "وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا" فبهذا الوهب وهو طوعي من هارون إيماناً وحباً دخل في دعاء موسى، لكن الأصل هو أن الملك من الناس هو من يملك نفسه ولا يملك إلا من يهب له نفسه "وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها" لكن باستثناء هذا التراضي كل ملكية أخرى غير مؤسسة على العدل كرد العدوان بالقصاص مثلاً أو أي عقوبة أخرى مشروعة بسبب ظلم حصل، هو اعتداء مباشر على ملك الله ومالكيته وهو ظلم عظيم وكفر كبير. الحرية ليست فقط فضيلة إنسانية لكنها أيضاً خاصّية ربانية. فدفاع

الإنسان عن حريته هو أو حرية غيره من الناس هو دفاع أيضاً عن ملكية الله وحقوقه العلية. لذلك قال "إن تنصروا الله" تنصره في ماذا؟ هل الله يحتاج إلى نصر؟ تنصروه في تحرير عباده من طغيان عبيده، كفرعون الذي قال "وقومهما لنا عابدون"، هذا هو نصر الله.

حين ينقلب الزمان من الطغيان إلى الحرية نرى آية أخرى، وحين يتحرر الإنسان ويؤمن سيصبح له تصور جديد للكمال بعد أن كان مُستعبده هو المنظر الأكمل في نظره على طريقة الذين نظروا إلى قارون فقالوا "يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون"، ولبيان هذين الأمرين قال بعدها...

٢٧-{وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، وله المثَل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم}

فحين ينقلب الزمان نشهد آية {وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}، كالروم حين يهاجرون ويسيرون في الأرض للتحرر والتحرير فإن الله يبشرهم هنا بأنه سيعيد لهم خلق عالمهم ونظامهم من جديد الذي فقدوه بعد الهجرة والسير في الأرض، وهو أهون عليه ستظهر أيضاً بأنها أهون عليكم أنتم فنحن نعرف الله بما يظهره الله فينا كما في قوله "وحصّل ما في الصدور. إن ربهم بهم يومئذ لخبير"

فقد كان خبيراً قبل ذلك اليوم أيضاً لكن المعنى أن الناس في ذلك الوقت سيشهدون أنه خبير حين يكشف لهم عن ما سيكشفه من علمه الحضوري فيهم "وما كنّا غائبين"، كذلك هنا {وهو أهون عليه} ستظهر في أن تأسيس حياة جديدة في دار الهجرة ستكون أهون من حياتكم الأولى من أكثر من وجه، لا أقل منها كونكم تبنون حياة جديدة على عقلية جديدة ونشيطة وبنية ربانية من البداية وتختارون علاقاتكم وأصحابكم وأعمالكم بنحو أعقل وأوعى مما كنتم تبنون عليه أمركم في البلد القديم المهجور حيث بُنيت أموركم عادةً على الصدفة والاتفاق والعشوائية والعادات والتقاليد المفروضة عليكم، وأما الآن فأنتم بالخيار في كل شيء إذ عقلكم وجسمكم وقنوتكم قد تحرر من الخلق إلى الحق بالتالي عاد إلى أنفسكم من جديد والخيار لكم وحدكم في كيفية إقامة كل ذلك، وكذلك هو أهون عليه لأنه سيعتني بكم الآن عناية خاصة إذ صرتم عباده حصراً وقنوتكم له وحده اختياراً وحباً وطوعاً وتيسيره لمن هذا حاله أكبر بحسب عادةً كرمه تعالى ولطفه بعباده الصالحين كيوسف ما بين غيابات الجب وعزة مصر.

بعد التحرر وتأسيس حياة معيشية جديدة مستقرة نسبياً، ماذا ستفعلون أيها الروم؟ يقول {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض

وهو العزيز الحكيم}. لتعرف معنى المثل الأعلى قارن بآية أخرى "للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى" إذن "لله" هنا المعني بها الذين يؤمنون بالآخرة وهو تجلي الله في الأرض فهؤلاء هم الذين لهم المثل الأعلى لأنهم من الذين يؤمنون بالآخرة، وقد مرّ معنا في سورة الروم كونهم ممن يؤمن بباطن الحياة الدنيا والآخرة. وعاد الأمر هنا. فالمثل الأعلى للرومي هو الله العزيز الحكيم، أي عزته من عزة الله وحكمته من حكمة الله والمثل الأعلى الذي يصبو إليه ويسعى باتجاهه هو الله عبر وسيلة العلم "رب زدني علما" بالمطلق ولم يقيد العلم لأن الازدياد من العلم هو الطريق الوحيد للاقتراب من الله تعالى وإن كان سعياً لانهائياً لأن العلم لا حد له والعليم سبحانه غير محدود، فالطريق هو الترقي العقلي إلى ما لا نهاية فهو مثل أعلى مفتوح الطرف وليس بمثل أعلى محدود يمكن الاتحاد به والفراغ منه. فالمثل الأعلى هو الله ويتجلى في الذين يؤمنون بالآخرة فهم المثل الأعلى في الأرض. وعلى سنت الله يرسم الرومي سماوات عمله العقلي وأرض عمله الجسمي، فيقوم بالعزة ويتأسس على الحكمة. والعزة هي الحرية، والحكمة هي العلم والعمل وهذا اعتبار آخر.

٢٨-{ضرب لكم مثلاً من أنفسكم، هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون}

ملك اليمين هنا مَثَل مضروب لقوم كانوا يملكون بالقوة البشر، كقريش أيام النبي الذين نزل القرءان بلسانهم ليبين لهم. كل ما يحدث في العالَم هو مثَل ويصح أن يكون مثلاً لحقائق إلهية، مهما كان خبيثاً وسيئاً. هذه حقيقة يقتضيها العالَم لأن العالَم الظاهري حتماً وكان ما كان مثال للعالم الباطني. بالتالي الاستفادة من صورة واقعة لتأويلها بنحو خاص لتقريب فكرة لا يعني تبرير وجود نفس الصورة واستمرارها، ولو كان مثلاً يريد الله استعباد البشر للبشر واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دونه لما ذمّ ذلك خلال كتابه ولما نهى عن اتخاذ الأسرى ولما أمر بفك الرقاب وعتقها وغير ذلك من علامات وآيات وأحكام. فهو استغلال لصورة واقعة لتقريب فكرة، وفي هذا نفسه فائدة تعليمية وهي أن نستفيد علمياً ورمزياً حتى من الخبائث والمظالم التي نجدها حولنا مع السعي لتغييرها حتى لا يبقى في وجداننا ولا في العالم شيئاً إلا وقد استفدنا منه علماً وتأويلاً عقلياً نافعاً.

بناء على ذلك نقرأ {ضرب لكم مثلاً من أنفسكم} لاحظ {من أنفسكم} التي تشير إلى أناس بأعيانهم وهم المخاطبين أول مرة بالآية، هذا تأويل ويوجد غيره سيأتي بعد هذه الفقرة إن شاء الله لكن نكمل النظر بحسب هذا التأويل. {هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم} المعنى هكذا: أنت سيد وتحت يدك عبد، فهل المال بينك وبينه مقسوم بالسوية وهل تصرفك وتصرفه في المال الذي تملكه أنت على نحو واحد، أم لا؟ الجواب: لا لأن السيد هو الذي يملك كل المال والعبد لا مال له بل هو نفسه مملوك للسيد، هذه القاعدة هي التي يعتقد بها كفار مكة وكثير من عرب ذلك الزمان. بناء على ذلك يحتج عليهم الله فيقول: إذا كنتم أنتم لا ترون بأن عبدكم يملك مالاً ولا يملك نفسه بل أنتم تملكون نفسه وماله، فكيف جاز عندكم الاعتقاد بأن الله تعالى يشاركه مخلوق من مخلوقاته وإله من الآلهة التي تعتقدون بها من دونه وهم دونه بإقراركم أنهم مجرد وسائط إليه، كيف جاز أن يكون هؤلاء لهم أنفس حرة مستقلة عن الله تملك نفسها ولا يملكها الله أو يكون لهم مال أو قوة أو قدرة مستقلة عن الله وهي متساوية مع تلك القوة التي لله. فقد جعلتكم أنفسكم مع عبيدكم من الناس مثلكم أعلى وأكمل في المالكية من الله مع عبيده ومع من تحته ومع خلقه ومن الآلهة الذين هم دونه في المرتبة مع

تبعيتهم له باعتقادكم. فالخلل الأساسي هنا هو أنكم جعلتكم أنفسكم أعلى من الله نفسه.

تأويل آخر وهو الأعلى: الروح تملك الجسم. فالجسم مملوك ليمين الروح التي هي الإرادة، أي اليمين هي الإرادة، والروح بعقلها وإرادتها هي المالكة للجسم المصرفة له. ومجموع ذلك هو النفس. لذلك قال {ضرب لكم مثلاً من أنفسكم}، أي الآن بعد أن تحررتم وأسستم حياة جديدة وصار مثلكم الأعلى هو الله، الآن تطهرت نفوسكم من كل وجه خارجي وداخلي، فتعالوا انظروا فيها فسنضربكم لكم مثلاً منها حتى تذكروا الله في أنفسكم دوماً وتصير أنفسكم آية له. {هل لكم} الخطاب للروح، {من ما ملكت أيمانكم} أي الجسم {من شركاء في ما رزقناكم} فيوجد رزق للروح وهو العلم ورزق للجسم وهو الطعام ونحوه، {فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم} الأحرار الأحياء من العلماء المستنيرين يميّزون بين رزق الروح وزرق الجسم، ويقدّمون رزق الروح على رزق الجسم وكل أمر الروح له أولوية مطلقة على كل أمر الجسم، فلا يجعلون الأمر سواء بين الروح والجسم، ولا يخافون من أمراض الروح ومشاكله كما يخافون من أمراض الجسم ومشاكله. لذلك مثلاً جاء في آية "قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم" ذكر العلاقات الجسمانية والمالية ثم قال "أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله" فجعل تقديم الله ورسوله والجهاد أولى من كل علاقة

جسمانية ومالية، وهو تقديم الروح على الجسم بأجلى صوره وأصدقها. الروح هنا هو الروح العقلي، أو العقل بعبارة أخرى، أسماء مختلفة لشيء واحد لحيثياته المختلفة. لذلك ختم الآية بقوله {كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون} فذكر العقل. أي الذين يعقلون عليهم أن يبقوا دائماً على التمييز بين العقل والجسم (الجسم هنا يشمل البدن والمال)، فيجعلون الجسم مملوكاً للعقل بيمين الإرادة الشرعية، ولا يساوون أبداً بينهما ولا يقدّمون المملوك أي الجسم على المالك أي العقل. هذا أهمّ ما يجب حفظه بعد التحرر وإقامة الحياة الجديدة.

فمن لم يفعل ذلك بل قدّم الجسم على العقل فما حاله؟ هذا ما تجيب عنه الآية التالية...

٢٩-{بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم، فمَن يهدي من أضلّ الله، وما لهم من ناصرين}

إذن الكلام في الآية قبلها يشير إلى اتباع العلم بدلاً من الهوى، وهو ما بيناه. فالهوى ضد العلم، والعقل في العقل فالهوى من الجسم وشهواته المنفصلة عن العقل كحال قوم لوط مثلاً الذين جعلوا الحق هو شهوته وإرادتهم تابعة لشهوتهم لا غير لذلك يقعون في ظلم

الإكراه والغصب دائماً كما فعلوا مع ضيف لوط أو حاولوا على الأقل وكما نهوا لوط عن العالمين وهو إكراه آخر، وهكذا لابد من اقتران الظلم بعدم العلم.

{فمن يهدي من أضل الله} فكيف تعرف مَن أضله الله ومن هداه الله؟ انظر إلى اتباعه العلم. فمن اتبع العلم فقد هداه الله، ومن رفض العلم فقد أضله الله.

{وما لهم من ناصرين} فالمنصور من نصر العلم، والمخذول من خذل العلم.
فما المخرج من هذه الظلمات كلها؟ الجواب في الآية التالية...

٣٠-{فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.}

{فأقم} الفاء تابعة لما قبلها، أي إن لم ترد أن تكون من الذين ظلموا الذين حكت عنهم الآية السابقة، {فأقم}. ماذا؟ {وجهك} وهو التوجّه

الكامل بكل لا تنظر إلى سواه ولا يكن عندك غرض إلا إياه. وهذا في دار الهجرة. أي حين تتحرر وتجد أنك تستطيع أن تتبع العلم وتستطيع أن تتبع الهوى، في السماويات العقلية أو الأرضيات الجسمية، فاحذر من اتباع الهوى فقط لأنك متحرر هناك من قهر البشر وتستطيع اختيار ما تشاء من مسالك لوجود حرية الدين وحرية الكلام وحرية الاختيار غير العدواني، فاحذر من اختيار الهوى على العلم والعقل، واحذر من ترك الدين، بل اجعل الدين هو وجهتك لا غيرك {فأقم وجهك للدين حنيفاً} حنيفاً أي مائلاً عن كل ما سوى الدين، مخالفاً لكل ما سوى الدين، معرضاً عن كل ما سوى الدين، إذ إنما أخرجوكم من دياركم لأنكم قلتم ربنا الله فأخرجوكم من أجل دينكم وقاتلوكم في دينكم وأنتم فعلتم ما فعلتم من أجل دينكم، فلا تتخلوا عن دينكم إذا خرجتكم إلى أرض الحرية بل اجعلوه كل همكم وهو وجهتكم ووجهكم موجّه نحوه مائلاً منحرفاً عن ما سواه وعن ما لا يخدمه ويؤسس له ويفسح له مجال نموه وتحققه.

لماذا كل هذا الاهتمام بالدين؟ لأنه {فطرت الله التي فطر الناس عليها} أي لأنه حقيقة فطرتك وجوهرك نفسك، وهو الشيء الوحيد الذي ستجد نفسك فيه وترتفع نفسك به، وتشهد الله في ذاتك بسببه، فهو فطرة الله، فإذا ذهبت إلى ما سوى الدين الإلهي من

مسالك ومشارب فإنك ستتبع فطرة بشر مثلك وستجعل البشر يشكّلون هويتك بدلاً من أن تكون على الفطرة الإلهية. الذي فطر السماء والأرض وفطر الملائكة هو الذي فطرك أنت، بالتالي إن أقمت أمرك على هذه الفطرة الإلهية ستجد نفسك متوافقاً مع الأكوان كلها غيبها وشهادتها، علويها وسفليها.

كيف تعرف أنك وصلت إلى فطرتك؟ حين تصل إلى حقيقتك التي لا تتبدل ولا يمكن تبديلها، كل ما يمكن أن يتبدل فهو ليس من خلق الله {لا تبديل لخلق الله}، أي جوهرك لا يمكن أن يتبدل، جوهرك العلوي، كما أن سنت الله لا تتبدل كذلك فطرتك لا تتبدل، فغص في ذاتك حتى تصل إلى حقيقة لا تتبدل، وحتى تعرف عن نفسك الأصول التي لا تتبدل وإنما تسعى لتحقيقها بأشكال وألوان مختلفة، فلا تتشتت مع الأشكال وابحث عن الجوهر الثابت فيك، ومن هنا انطلق وستجد أنك وصلت إلى حقيقة نفسك وفطرتك الإلهية الثابتة الدائمة. فإذا وصلت إلى هذه ستصل إلى جوهر {ذلك الدين القيّم} الذي له القيمة والذي يقوم على كل شيء والذي يقوّم كل شيء. فمبادئ الدين الحق في ذاتك أنت. وإذا فسّرت ذاتك ستعرف تفسير الدين النازل من خارجك. وحينها سيكون فرقانك من نفسك، وبيانك من عقلك، وشيخك هو روحك. وتدخل بذلك في زمرة القلة المستنيرة. المخالفة لما

عليه أكثر الناس {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} بالتالي لا تستوحش من قلة عدد من هو على مثل هذا الطريق الفطري، فأكثر الناس يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا كما في أوائل السورة وجاء هنا مرة أخرى وذكّرك بأن أكثر الناس لا يعلمون الفطرة، فالفطرة في باطنك كما أن وعد الله في باطن الدنيا.

{ولكن أكثر الناس لا يعلمون} إذن في أرض الحرية لا يُعطى أكثر الناس السلطة لتحديد دين وكلام والحقوق الأساسية للفرد، فلابد من تحرير الفرد من سلطة الأكثرية في هذه الأمور الجوهرية على الأقل، لأن أكثر الناس لا يعلمون وحين لا يعلمون سيجهلون وحين يجهلون سيظلمون ولا حرية مع الظلم فيعود الطغيان من جديد لكن هذه المرة على يد ثمود بدلاً من على يد فرعون أي على يد "تسعة رهط" بدلاً من "أنا ربكم الأعلى"، ولا يهم الواحد أو الكثير فالظلم ظلم. ولا ينبغي لفرد أن يرضى ولا أن يقيم أي اعتبار لطغيان فرد عليه أو أفراد ولو كانوا الأمة كلها وهو واحد فهو أمّة وحده طالما أنه حر ويأبى العبودية للبشر قلوا أم كثروا.

كيف تقيم وجهك للدين وكيف تكون حنيفاً؟ أمران هنا. إقامة الوجه عمل إيجابي أي فعل، والحنيفية عمل سلبي أي انتهاء عن شيء.

سنجد في الآيتين الأمر والنهي كلاهما. ثلاثة أوامر ونهي. فتعالوا ننظر.

الأمر الأول {منيبين إليه}. الإنابة عمل القلب، والقلب يعقل ويفقه، فالإنابة إلى الله تعني سعي القلب دائماً باتجاه ذكر الله وتعقل كلامه والتفقه في أمره.

الأمر الثاني {واتقوه}. الإنابة تجعل النفس ربانية، التقوى تجعل النفس في العبودية، فتتقي تخيل الاتحاد به والتأله فلا تقول لأحد أن يتخذ رباً من دون الله وأنك إله من دونه، إذ الإنابة إليه قد تؤدي بالبعض إلى هذا الخطر، فالتقوى مسافة، والمسافة بين العبد والرب، ويعني فيما يعني عدم رؤية نفسك رباً للناس.

الأمر الثالث {وأقيموا الصلاة}. فالإنابة عروج النفس إلى الذات الإلهية، والتقوى خضوع النفس تحت القهر الإلهي، والصلاة رؤية النفس لذاتها كخليفة ما بين الذات والقهر، وهذا محل الخلافة، فالخليفة في مقام اللطف والرحمة، تحت الواحدية وفوق العدمية، لذلك هي الصلاة من المصلّي الذي هو الثاني في السباق، فيكون الإنسان هنا مصلياً لله تعالى المتجلّي به. وكذلك إقامة الصلاة تتعلق بدراسة وقراءة القرءآن وإقامته في الأرض علماً بالتعليم وحكماً بالعمل والتنفيذ، والدعوة إلى إقامة القرءآن أي دعوة الناس لذلك. لذلك جاء بعدها النهي.

النهي {ولا تكونوا من المشركين} الذين أشركوا في الإنابة فأنابوا إلى غير الله، وأشركوا في التقوى فاتقوا غير الله، وأشركوا في الصلاة فصلوا لغير الله. فما علامة هؤلاء؟ {من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون}، ثلاثة بثلاث. لما أشركوا في الإنابة فرّقوا دينهم، ولما أشركوا في التقوى كانوا شيعاً، ولما أشركوا في الصلاة صار كل حزب بما لديهم فرحون. فمظهر الإنابة وحدة الدين، ومظهر التقوى وحدة الأمة، ومظهر إقامة الصلاة كون الأمة حزباً واحداً هو حزب الله الذين هم الغالبون وهم الروم "وهم من بعد غلبهم سيغلبون" "حزب الله هم الغالبون".

الفِرَق والشيع والأحزاب، ثلاثة أقسام تتعلّق بثلاثة جوانب.

الفرق تختلف في الله تعالى، أي في ذات الله، وهي توازي "فأقم وجهك للدين حنيفاً"، فكل فرقة تصوّر الله وتعتقد فيه اعتقاداً يخالف الأخرى، والحق في الله أنه النور الوجودي المطلق اللامحدود بحد والمتعالي والمتجلي مطلقاً الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فكل من قيّد الله وجعله دون ذلك الإطلاق المطلق الحقيقي فلابد أن يقع في التكثير والكثرة والاختلاف في الله.

الشيع من الشيعة وتتعلق بالأئمة كما قال في نوح "وإن من شيعته لإبراهيم" وقال في موسى "هذا من شيعته وهذا من عدوه" فالتشيع مبني على اتباع الإنسان للإنسان والانتماء إليه، فالتفرق في الله والتشيع في الإنسان، وهذه توازي "فطرت الله التي فطر الناس عليها"، والمعنى أن المتشيعين بالسوء هؤلاء أي المشركين منهم هم الذين لا يرون فطرت الله في كل الناس بل يرون فطرت الله في بعض الناس ويتخذون هذا البعض إماماً من دون الناس ومن دون بقية الأئمة ولا يرون في الناس صلاحية ذاتية فطرية إلهية لذلك يتشيعون لمن يعتقدون فيهم الفطرة الإلهية، وخلاف ذلك أن ترى كل إنسان فرد هو إمام إلهي بالقوة وإن لم يحقق ذلك بالفعل لغرض راجع له هو واختياره وليس إلى نفس نقص فطرته فإن فطرت الله قائمة في كل الناس حتماً وقطعاً "لا تبديل لخلق الله"، بالتالي لا يتشيع كل فرد إلا لنفسه وإلا لمن يرى أن تشيعه له إنما هو وسيلة لتعزيز تشيعه لنفسه وتكميل تحقيق فطرته كما فعل موسى مع معلمه حين قال له "هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رشداً" فلم يتبعه لمجرد الاتباع وإلا لصار تشيعاً شركياً بل اتبعه ليتعلم منه بالتالي ليكمل فطرته فيستقل عنه لذلك افترق عنه بعد ذلك، فالاتباع للتعليم ومساواة المعلّم هو تشيع المرسلين والمؤمنين لكن الاتباع لغير ذلك هو تشيع المشركين وهو المنهي عنه هنا وهو الذي سيؤدي إلى صيرورة الأمة

شيعاً. وهذه توازي "واتقوه" لذلك جاء في آيات الصراط المستقيم من سورة الأنعام "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون".

الأحزاب توازي "ذلك الدين القيم" والمعنى أن الدين لم يعد عندهم واحداً بل كل واحد يأخذ بعضاً من الدين ويجعله كأنه الدين كله وبديلاً عن الدين فيجعل نفسه حزباً يفرح بهذا الجزء من الدين الذي أخذه. كالذي يأخذ آيات الجهاد ويبني عليها حزبه، وآخر يأخذ آيات العلم وتزكية النفس ويبني عليها حزبه ويدع آيات الجهاد، وثالث يأخذ آيات التوحيد ويبني عليها حزبه ويدع آيات الحيض والدَّين، وهلمّ جراً. فالتحزب مبني على جعل الدين نفسه أجزاءً وعضين وأقساماً فيأخذ بعضها ويدع بعضها ويفرح بما عنده ولا يبالي بما لم يختاره، وهذه توازي "وأقيموا الصلاة"، لأن قراءة ودراسة القرءآن كله وأخذه كوحدة واحدة سيمنع من التحزب.

حين يخرج الروم إلى أرض الاختلاف والحرية والتعددية سيجدون فرقاً وشيعاً وأحزاباً كثيرة، فعليهم أن لا ينضموا إلى أية واحدة منها، بل يكونوا أفراداً أحراراً يتبعون الحق والعدل ولا يدخلون مع فرقة ضد فرقة ولا مع شيعة ضد شيعة ولا مع حزب ضد حزب، بل الروم هم الأمة الواحدة التي تعلو على كل فرقة وشيعة وحزب. لأنها ترى الله أحداً مطلقاً فكيف تفترق فيه وهي ترى كل عقيدة في الله لها وجه

حق مع تقيدها بالتالي لا تنحصر فيها ولا ترفضها كلية. ولأنها ترى فطرة الله في كل إنسان فكيف تتشيع لإنسان واحد من دون الناس وتنسى نفسها وتسفه نفسها تعظيماً لشخص واحد أو بضعة أشخاص من الناس. ولأنها ترى الأخذ بالرؤية العلمية الشاملة في كل موضوع واتباع الأمور بنحو كامل متكامل بأكبر قدر ممكن وأوسع رؤية ممكنة فكيف تتحزب لوجهة نظر أو بعض العلم أو بعض الحق دون بعضه الآخر. فمن يرى الله مطلقاً والإنسان فرداً مستخلفاً والحق واسعاً واجباً، فهو الرومي الذي هو أمة وحده وهو الأمة الواحدة.

٣٣-{وإذا مسّ الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يُشركون. ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون.}

هذه توازي "منيبين إليه" في الآية السابقة وفيه بيان للإنابة. فالإنابة هنا هي دعاء الله وحده، بغض النظر عن الحالة الظاهرة للنفس أي سواء كانت النفس في ضر أو في رحمة (مما يعني أن الرحمة هي النفع والضر هو العذاب)، فالمدعو عند المنيب هو الله وحده. أي النظر إلى كون الله هو السبب الوحيد الحق الفعّال باستقلال في الكون ولا شيء

من دونه يفعل شيئاً ولا يغلبه شيء من خلقه. فالإنابة توحيد الأفعال في الله تعالى، كان ما كان حال النفس من نفع وضر.

وغير المنيب قال له {فتمتعوا فسوف تعلمون} أي تمتعوا في الدنيا بهذه الرحمة التي نالت ظواهركم لكنكم خسرتم التوحيد الأفعالي الذي هو الرحمة الباطنة، وسوف تعلمون حين تقوم القيامة وتنقلب الموازين ويصبح الباطن ظاهراً وله الحكم الغالب يوم تُبلى السرائر ويندرج الجسم في حكم القلب حينها ستعلمون بطلان ما تعلّقت به قلوبكم من الأسباب السرابية. بالتالي المشرك يُترَك في الدنيا على شركه ويُترَك ليتمتع في الدنيا بشركه والرحمة الظاهرة التي آتاه الله إياه، ولا يتعرض له مؤمن بشيء في ذلك بسبب شركه حصراً.

٣٤-{أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون}

هذه توازي "واتقوه وأقيموا الصلاة" لأن السلطان الذي يتكلّم هو الذي يبينّ الشريعة التي فيها التقوى أي الأمر والنهي، وكذلك هو القرءآن الذي به تكون الصلاة. فالسلطان هو القرءآن وهو الإنسان الذي يبينّ القرءآن أيضاً. فمن حيث هو إنسان يوازي "شيعاً" أي هل هذا الإنسان الذي اتبعتموه قد آتاه الله سلطاناً من دون الناس حتى

تقبلوا كلامه وتتشيعوا له من دون الناس؟ ومن حيث هو قرءآن يوازي "كل حزب" أي هل هذا الموضوع الذي تحزبتم له وأقمتم حزبكم حوله هو بعض القرءآن أم كل القرءآن فإن كان بعضه فلم كفرتم باقي القرءآن وإن كان كله فأنتم لستم حزباً من الأحزاب لكنكم حزب الله الجامع لكل المعاني الحقة في كل الأحزاب المبضّعة لمواضيع الكتاب. فلابد من سلطان مُنزَل لبيان الأمر والنهي، ولبيان المُتَّبَع من الناس. فمثلاً في الاتباع قال "اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون" فإن وجدنا أناساً يتشيعون لشخص يسأل الناس أجراً وجزاءً وشكوراً ويأمر الناس باتخاذه رباً من دون الله ولا يعلمهم كل ما في علمه ويضن عليهم بالغيب الذي عنده ونحو ذلك من أمور فحينها نعلم أن هذه شيعة ضلالة وهذا إمام من أئمة الكفر والنار، وعلى هذا النمط لابد من النظر في السلطان المُنزَل المتكلّم أي القرءآن حتى نرى البرهان الذي هو سلطان بحد ذاته على كل أمور التقوى والصلاة.

المعنى إذن: الروم دعوتهم في الله هي الوحدة الإلهية في نفسه وفي أسمائه وفي أفعاله. ودعوتهم في الشريعة مأخوذة من كتاب الله. ودعوتهم في الإمامة مأخوذة من كتاب الله. وعلى هذا الأساس يتكلمون. فمن خرج عن هذه الأصول الثلاثة كان من المشركين أصحاب الفرق والشيع والأحزاب.

٣٦-{وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون. أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. فآت ذا القربى حقه وابن المسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون. وما ءاتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون}

المصيبة سيئة وسببها ما قدّمت يداك أنت، لكن الرحمة قد تكون نعمة معجّلة لعمل سابق أو قد تكون من محض الفضل الإلهي. والآية تتحدث عن حال النفوس في هذا العالَم وكيفية التعامل مع الحوادث. والنفس ما بين حادثة رحمة وحادثة سيئة، وكلاهما من علوم الذوق {إذا أذقنا}، أي هي شيء تذوقه وتدركه وجدانياً مباشرةً وليس أمراً ذهنياً تتخيله ولا تفكر فيه، فالرحمة رحمة لأنك تجدها نافعة لذيذة في نفسك، والمصيبة سيئة لأنك تجدها سيئة في نفسك، ومدار الكلام على ما تجده في نفسك مباشرة وهو المرجع الأخير في الحكم على الشيء وهذا لا يعني أنه لا يمكن تحويل الأثر الناتج عن حادثة ما كأن تعيد تفسيرها فيختلف تأثيرها فيك لكن الأثر الأول قد وقع في نفسك وانتهى الأمر بالتالي هو على ما هو عليه وهذا

الأثر الجديد الناتج عن التفسير الجديد هو أثر جديد بالتالي له حكم جديد فلا ينقض هذا ما قدّمناه.

الآن، كيف تفسّر الحوادث؟ قد مضى أمر الإنابة والتقوى والصلاة، فهذا فيما يتعلّق بالمعاملة الدينية، فماذا عن المعاملة الدنيوية، أي عن كيفية التعامل مع الحوادث الدنيوية والنظر إليها. الآية هنا تتحدث عن هذا الشق الدنيوي من المعاملة. وفي الدنيا أنت ما بين حسنة وسيئة. الآية تبينّ كيف تنظر للحسنة وكيف تنظر للسيئة، ثم تبينّ كيف تتعامل مع الحسنة وكيف تتعامل مع السيئة.

لا تنظر إلى الحسنة كشيء تفرح به من أجل نفسه لكن كشيء يدل على رحمة الله بك، أي انظر إلى يد الله في الأمر لا فقط إلى الأمر، فانظر إلى رحمته بك لا فقط إلى صورة الرحمة. هذا بالنسبة للحسنة.

بالنسبة للسيئة فانظر أولاً أنك أنت السبب في إتيانها بما قدّمت يداك، أي ابحث عن مسؤوليتك الشخصية في حصولها وما الذي يمكنك القيام به لعدم حصولها بعد الآن وما الذي كان بالإمكان القيام به في الماضي لعدم حصول هذا الأمر الآن، وبهذه الطريقة ستكون في

حالة تحسّن مستمر، فابحث عن مسؤوليتك أنت ولو من وراء ألف سبب وسبب وكن هكذا دائماً حتى تكون فعالاً مسؤؤلاً قوياً في كل أمر ولا ترى نفسك كورقة في مهب الريح تفعل فيك الأمور ولا تفعل شيئاً ولا قرار لك. وثانياً لا تقنط وتيأس ويصيبك الاحباط وتظن أنه لا مجال لتغيير ما حدث من سوء بل دائماً يوجد وسيلة للتغيير ولو في نفسك ونيتك وهو تغيير كاف لنعيم النفس ومصير الآخرة كحد أدنى، بالتالي لا يوجد سيئة إلا ويمكن تغييرها والاستقالة منها بوجه أو بآخر بالتوبة والتصحيح والإصلاح.

الحسنة والسيئة في هذه الآيات بحسب ما جاء بعدها تشير إلى الرزق. فالحسنة هي بسط الرزق والسيئة هي قبض الرزق. فحين تجد من الرزق ما يكفيك وينعمك فهي حسنة، وحين تجد من الرزق ما لا يكفيك ويضيق عليك فهي سيئة. الرزق منه رزق العقل وهو الأقوال ورزق البدن وهو المال. والمعنى الظاهر للآية في رزق المال، والمعنى الباطن في رزق الأقوال.

في رزق المال، اعلم أن الله هو الذي سيقدّر لك ما يكفيك ولن يبتليك بشيء لا ينفعك ولن تتحمله. وإن حصل لك ضيق في الرزق فاعلم أن الله يكفّر عنك به شيئاً سبق أن فعلته من سوء فابحث عن ذلك وتب منه واعلم أنه خير لك. هذا في حالة الضيق. وفي حالة

البسط اعلم أن تكليفك هو أن تنفق على نفسك ثم ما زاد عن حاجتك يجب أن تنفقه على من يحتاج ذلك من ذوي قرباك والمسكين وابن السبيل، وإياك أن تأخذ هذا المال الزائد عن حاجتك وتقرضه بالربا. فالآيات تشير إلى أن البسط هو ما يكفيك ويزيد عن حاجتك، والقبض هو أن يكون لك بما يكفيك فقط بالحد الأدنى للمعيشة وإلا لو توفّر لك أقلّ من الحد الأدنى فلن يكون رزقاً بل ستموت. إذن القبض ليس قبض أصل الرزق وإلا حصل الموت، بل القبض أن يكون لك الكفاف المحض والحد الأدنى مع صعوبة العيش من حيث الحاجة للتفكير والتقدير في المال وأخذ أمور ذات جودة أقل ونحو ذلك من أسباب سلب الراحة الفكرية والبدنية، فالبسط بعكس ذلك حين تتوفّر الراحة الفكرية بسعة المال فلا تحتاج إلى كثير من التفكير في كميته وكذلك تتوفر الراحة البدنية بالحصول على ما يريح من أمور المعيشة المختلفة، ثم فوق ذلك يزيد عن حاجتك ويفيض المال حتى تستطيع أن تنفقه على غيرك. إذن هنا ثلاث درجات في البسط. الأولى توفر الراحة البدنية لك، الثانية توفر الراحة الفكرية لك، الثالثة توفر القدرة على الإنفاق على غيرك. والقبض بعكس ذلك يأتي أولاً بعدم قدرتك على الإنفاق على غيرك، ثم يسلبك راحة فكرك بحيث تحتاج إلى التفكير في المال كسباً وإنفاقاً بشكل مستمر أو دوري، ثم يسلبك راحة بدنك بحيث تحتاج إلى اختيار الأردأ والأقبح من الأشياء حتى

تعيش به. والله يخبرنا هنا أنه {يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له} وليس عبيده، بل "عباده"، فالكلام هنا بشكل رئيس عن الصالحين، فهؤلاء الله يدبّر أمورهم كالروم مثلاً وهم محل الكلام كما مضى. فالله هو الذي سيدبّر لهؤلاء أمور رزقهم بحيث يبسط لهم حين يكون البسط خيراً لهم ويقدر لهم حين يكون القبض خيراً لهم، وسيرون ذلك في حياتهم لو أبصروا بعين الظاهر والباطن "لقوم يؤمنون" والإيمان كما مر رؤية الآية في الواقع. فحتى ترى ذلك عليك أن لا تعمي عينك عبر الفرح بالبسط والقنوط من القبض، أي لا تجعل البسط هو الحالة الوحيدة التي يجب أن تكون عليها وإلا ستقنط وتسخط، وهذا أمر قد يصعب على النفس لكن الإيمان به يسهّل الله على النفس ذلك حتى تحبّ قبض الرزق في حالات وتكره بسط الرزق فيها. المهم أن تكون عينك على الله وتدبيره، لا على صورة القبض والبسط في الرزق.

في حال بسط لك الرزق إلى حد أنك وجدت راحة بدنك وراحة فكرك وصرت تستطيع الإنفاق على غيرك، هنا تأتي الآيتين لتبين لك كيف تنفق وعلى مَن.

{فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل}. ذو القربى هم الذين خرجوا معك من أهلك وأقاربك إيماناً بدعوتك وأصابته ضائقة

مالية بسبب ذلك فهؤلاء أولى الناس بالزائد من مالك. ثم أتباعك من المؤمنين المساكين وهو من السكون أي الذي لا يستطيع التحرك طلباً للرزق بنفسه لكنه يسكن ويثبت في حدود معينة لا يستطيع التحرك منها ومع ذلك يقوم بالذكر والفكر والعبادة في حدود مكانه وداخل قلبه، فهذا قلبه متوجه إلى الله والنور ويتلقى الإشراق الإلهي ويجلس معك ويستمع لك لكنه لا يستطيع التحرك لطلب رزقه، فهو التلميذ العاجز، فأعطه من فائض مالك. ثم من سافر لكي يزورك ويتعلم منك فهذا ما سافر إلا لكي يتعلم منك وجاء إليك للعلم فارحمه فهو ابن السبيل وهو في غربة مؤقتة من أجل التعلم منك فأعطه من مالك. هذا تأويل.

{ذلك خير للذين يريدون وجه الله} أي لا تعطيهم المال على أمل أن يردّوه لك، بل تعطيهم لا تتوقع لا جزاءً ولا شكوراً منهم. {وأولئك هم المفلحون} لأن أجرك على الله وفي الآخرة التي هي الفلاح الدائم والنعيم المقيم. وستجد أثر ذلك عادةً في قلبك الآن ومن فتوح العلم والحكمة والأنوار. فهو "خير" كما قال الله، ومَن أراد وجه الله سيشرق عليه الله بوجهه.

{وما ءاتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله، وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون} هنا تحذير وإنذار لأصحاب الأموال الفائضة عن حاجتهم أي مَن هم في حالة

بسط الرزق. قد يطمعون بمضاعفة هذه الأموال عبر جعلها تربوا في أموال الناس أي إعطائهم المال قرضاً على أن يعيدوه لك بفائدة فيزداد مالك بدون أن تعمل شيئاً. لكن هنا مسألة مهمة وفرق كبير. فرق بين أن تعطي مالك لشخص يستثمره لك فيرده لك مع زيادة إن ربح ويضيع منك إن خسر، وبين أن تعطي ذا القربى والمسكين وابن السبيل وهم أناس يستهلكون المال ولا يعرفون مصدراً له وتأمرهم بتدبير أمرهم لإعطائك مالك وزيادة عليه ولا يهمك كيف سيفعلون ذلك. أي فرق بين أن تعطي المال لمستثمر ولمستهلك. السياق هنا عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل يشير إلى حالة المستهلك. لذلك أرشد إلى الزكاة لا إلى الربا. أي إرادة وجه الله بإعطاء المال لا إرادة زيادة المال. فما علاقة إعطاء المال لذي القربى والمسكين وابن السبيل بوجه الله؟ العلاقة ما مضى. فالقرءآن كل واحد والكلام عن العلم، فالمعنى أن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل كما بينا في التأويل السابق هم أناس خرجوا معك أو هم معك أو قد جاؤوا إليك من أجل العلم والدين، فهم يعملون لله ويريدون وجه الله بصحبتك والأخذ عنك والسفر إليك، فإعطائهم المال هو تيسير لمعاش أجسامهم حتى يتفرغوا لأمر دينهم وتعينهم على ذلك. استغلال الحاجة المالية لهؤلاء هو السفالة الكبرى التي تحذر منها الآية. فالرومي لم يخرج لجمع المال ولكن للدين والعلم الإلهي وكلام الله. بالتالي حتى أمواله يجب

تسخيرها لهذا الغرض الديني العلمي، لذلك حين يبسط الله لك الرزق في دار هجرتك أو في الأرض عموماً أيها الرومي فاعلم أن هذا لأن الله يريدك أن تنفق على عباده الذين يريدون تعلم دينه، لا لكي تستغل ضعفهم ليزداد مالك ولا لكي تجمع الأموال من أجل التكاثر في الأموال على طريقة كفار الدنيا وجهلة أبناءها. فكما جعلك الله وسيلة لإفاضة علمه كذلك جعلك خليفة لإنفاق ماله. فهي نعمة عظيمة عليك فلا تفسدها بالربا بل اشكرها بالزكاة.

بناء على ذلك، على حملة كتاب الله تنظيم أمر معيشتهم بشكل جماعي في أي أرض يحلّون بها. يجتمعون ويعمل منهم على الكسب من يستطيع أن يعمل، ومن لا يستطيع يسخّر وقته بشكل أكثف في العمل العلمي والعبادي. ويعطي من بُسط له رزقه من قُدر عليه رزقه. ففي أمر العلم فردية لكن في أمر المعاش جماعية. وهكذا تكون الأمور أولى بالاستقامة بإذن الله ورحمته.

جاء في سورة الإسراء "آتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً. إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفورا". فإذا جمعنا هذه مع أختها هنا سنجد أن التبذير هو إعطاء مالك لغير هؤلاء الثلاثة. بالتالي على العالِم أن ينظر في ذي القربى

منه وهم العلماء أو المسكين وهو المتعلّم الحابس نفسه عليه للتعلم أو ابن السبيل وهو المسافر له ليتعلّم منه، فعلى هؤلاء الثلاثة عليه أن ينفق ماله، وما خرج عن ذلك هو تبذير، والمعنى معقول بنفسه لأن إعطاء المال لمن هو ليس عالِما ولا متعلماً دائماً أو مؤقتاً يعني إعطاء المال لإنسان لا يحيا للعلم وهذا الإنسان هالك فإعطائه المال إهلاك له وهو التبذير كبذر البذرة في أرض غير صالحة للنبات كذلك المال في غير أهل العلم هو تبذير لأن هؤلاء غير صالحين لإنبات العلم والروح والإشراق المعنوي على العالَم الإنساني والطبيعي ولا قيمة لحياتهم في هذه اللحظة بالنسبة لأهل العلم بمعنى أن لا قيمة تبرر إعطائهم المال المحدود بل غيرهم أولى به. ومن هنا ذكر {إخوان الشياطين} لأن الإنسان الذي لا يحيا للعلم فهو من إخوان الشياطين، إذ غير العلم جهل والجهل شيطنة. ثم ذكّر ب{كان الشيطان لربّه كفورا} وهو إبليس الذي لم يسجد لآدم، فعصى أمر ربّه وضد ذلك العلم بالشريعة التي هي أمر الله، والشيطان غفل عن مقام الله ولذلك عصاه وجهل حقيقة علاقة الله بالعالَم والخلق لذلك قال مثلاً "رب بما أغويتني" والغفلة والجهل بالله هما ضد الطريقة التي هي ذكر الله، وإبليس جهل حقيقة الإنسان وأنه روح ونفس وجسم بل رآه كطين فقط كذلك الجهلة من البشر الذين يرون أنفسهم كأجسام فقط وينكرون روحهم وينكرون الروح أصلاً والباطن والتأويل والغيب في الإنسان بالتالي ينكرون

العلم إما مطلقاً وإما بدرجاته العليا، وعلى هذا النمط إذا نظرنا في الشيطان الذي كان لربه كفوراً سنرى نموذج البشر الذين لا يحيون للعلم وبالعلم وفي فلك العلم لذلك قرنهم بالمال والتبذير وخالف بينهم وبين ذي القربى والمسكين وابن السبيل مما يدل على أن هؤلاء أمثال على المتعلمين وقد مضى تأويل ذلك. إذن، بما أن المال محدود فأولى الناس به أهل العلم الذين هم في دائرة صاحب المال العالِم هنا، وهم عقلاً ثلاثة وفي الآية هم ثلاثة يتطابقون عقلاً مع ورودهم نصّاً، إذ عقلاً الأولى هو العالِم مثله ثم بعد ذلك المتعلّم الملازم له ثم بعد ذلك المتعلّم غير الملازم له، فالأول أولى لأنه مثله في الرسوخ والثاني أولى لأنه يشترك مع الثالث في التعلّم فلابد من مرجّح وهو هنا اللزوم ثم يبقى الثالث للدرجة الأخيرة. وكذلك الآية ذكرتهم هكذا: ذا القربى والمسكين وابن السبيل. والقرءآن صورة العقل الأعلى.

٤٠-{الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، سبحانه وتعالى عما يُشركون}

حقيقة وسؤال وجواب. هذا مضمون الآية من الناحية الكلّية.

أما الحقيقة فقوله {الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم} هذه الأفعال الأربعة هي الكليات التي كل فعل يظهر في الوجود لابد أن يرجع إليها، وكل سبب في الكون إنما هو سبب أثره أحد هذه الأربعة. فهي أركان بيت الكون. حصر فعل الخلق والرزق والإماتة والإحياء بالله تعالى هو من توحيد الأفعال على سبيل التفصيل مع الإجمال، وأما على سبيل التفصيل مع التفصيل فيتضمن بيان كل رزق مثلاً حسي ومعنوي ونحو ذلك كما في آيات "فارزقوهم"، وكذلك في الخلق حين يظهر فعل الخلق على يد البشر مثل "أخلق لكم" و "تخلقون إفكاً"، وهكذا في الإماتة والإحياء "أنا أحيي وأميت" و "من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً". فالآية إذن بصدد بيان جوهر الفعل، وجوهر الفعل راجع إلى فعل الله حصراً، فكل خلق ورزق وإماتة وإحياء هو فعل الله على الحقيقة لا غير إذ لا غير له يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك بدون إذنه وفي حدود تمليكه. ومن هنا ذكر القرءآن وجود مَلك للموت "قل يتوفاكم ملك الموت" فنعلم قياساً على ذلك وجود ملك للخلق وملك للرزق وملك للموت وملك للحياة، لكن هؤلاء الأربعة يرجعون إلى الله تعالى وفعلهم إنما هو مظهر لفعل الله لا غير "ويفعلون ما يؤمرون" "لا يسبقونه بالقول" "تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر". بالتالي الإنابة القلبية يجب أن تكون لله تعالى وحده، وكل ما يريده الإنسان من

خلق ورزق وموت وحياة يجب أن يسأله من الله تعالى ولا يرى غيراً له في الوجود. والغير يكون سبباً من الأسباب عادةً الظاهرة في الكون سواء سبب جعله الله سبباً أو سبب يتوهم المتوسّل به أنه سبب وليس كذلك، وعلى الوجهين المؤمن الموحد يسأل الله وقلبه منيب إلى الله حصراً لأنه يعلم أن الفاعل الوحيد هو الله. لذلك قال {هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء} فلو كان لموجود دون الله سواء كان عيسى الذي أشرك به من أشرك بالرغم من أنه يخلق ويحيي الموتى أو كان غير عيسى ممن لم يملكه الله من ذلك شيئاً، لو كان لموجود فعل حقيقي راجع لنفسه وذاته لكان الجواب الصادق على هذا السؤال التقريري هو "نعم يوجد من شركائنا من يفعل من ذلكم من شيء كعيسى الذي يخلق من الطين ويحيي الموتى". والسؤال لم يقل: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم بغير إذن الله من شيء. حتى يخرج بهذا القيد عيسى ومن شابهه في التمكين الإلهي أو حتى يخرج الذين أمرهم الله بأن يرزقوا أولي القربى واليتامى والمساكين إذا حضروا القسمة المالية "فارزقوهم" قال الله وهو فعل الرزق، فعلى أي مستوى وجودي كان إن كان لفاعل محدود فعل حقيقي منسوب له نسبة حقيقية لبطلت الآية. وهي حق. فالمعنى أن الفعل على الحقيقة هو فعل الله لا غير، وهو توحيد الأفعال. فأي فعل برز في الوجود من خلق ورزق وإماتة وإحياء عين القلب ترى فعل الله وإن كانت عين

القالب ترى فعل عبد الله. ولعين القلب أحكام ولعين القالب أحكام. عين القلب تحكم بالطريقة، وعين القالب تحكم بالشريعة. ولا تناقض بينهما ولكل منهما حدّه في هذه الدنيا . فالعبد الصالح في قصة موسى نسب الفعل إلى إرادة الله بينما موسى نسبه إلى العبد الصالح. والفراق بين أهل القلب وأهل القالب يبدو أنه حتمي بدرجة أو بأخرى ما دامت الدنيا دنيا . من اعتقد وجود فاعلية لغير الله فهو مشرك، سواء كان شركاً مهلكاً كاعتقاد وجود رب وإله من دون الله، أو كان شركاً مغفوراً بإذن الله ورحمته كشرك نسبة الفعل إلى سبب ظاهر مكنه الله من الظهور بصورة الفعل كعيسى والمؤمن في قسمة الرزق مثلاً وهو مغفور بإذن الله وفضله لأنه من مظاهر اسم الله الظاهر والفرق بين الظاهر والمظاهر أدقّ من الشعرة وأحد من السيف والله أرحم وأرأف بعباده من مؤاخذتهم على ضعف أعينهم إذ "ليس على الأعمى حرج" و "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" و "يعفو عن كثير". والجواب الحق على السؤال هو {سبحانه وتعالى عما يشركون}. ما الفرق بينهما ؟ أن تعتقد وجود موجود يوازي الله في وجوده وفعله شرك ينبغي قول "سبحانه" منه، لكن أن تعتقد بأن ما يظهر من الأفعال الأربعة في الكون هو كل وجميع وأقصى ما في قدرة الله وفعله أو تعتقد بأن كل ما يظهر من أفعال في الكون على يد العباد والعبيد هو عين فعل الله بالمساواة التامة من كل وجه ولا

تتقي الله في ذلك وتنسب الفعل إلى مظهره مع تنزيه الله عنه فعلى الوجهين هو شرك ينبغي قوله "تعالى" منه. فالله مُسبَّح عن الشريك في ألوهيته، ومتعالي على الكون وما يظهر فيه بصورة خلقه. فعله واحد وكامل، نقض الواحدية يقتضي التسبيح، ونقض الكمال يقتضي التعالي. "سبحانه وتعالى عما يشركون".

جاءت هذه الآية بعد أن ذكر مسألة الرزق في المقطع السابق، وأمر فيها بإيتاء ذي القربى والزكاة وذكر فعل الربا، أي ذكر فعل الخير وفعل الشر في الرزق، فحتى لا يتوهم موهم أن الفاعل هو الإنسان على الحقيقة فيضلّ عن توحيد الأفعال فتبطل إنابته، فتح هنا باب تحقيق مسألة الأفعال الإلهية بتوحيدها المطلق في ذات الله سبحانه وتعالى. ففاعل الزكاة وفاعل الربا كثير في الظاهر لكن حقيقة فعلهم هي فعل الله الذي يرزق لا غير. فعل الحق واحد وفعل الخلق كثير وفعل الحق هو أصل فعل الخلق. فعل الخلق خير وشر لكن فعل الحق حق. عينك حولاء وهو واحد، وبالنسبة لك زكاة وربا لكن بالنسبة له فعل واحد. فمن نظر من عين المظاهر ضل، ومن نظر من عين الظاهر اهتدى. عين المظاهر شركية وغير الظاهر توحيدية. لذلك الإنابة عمل القلب، فالقلب موحد وإن كان القالب مشركاً.

ثم عاد بعد أن قرر توحيد الأفعال الإلهية إلى مقام التفريق مرة أخرى فقال...

٤١-{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}

هنا نجد أن الناس هم مظهر الله تعالى. فلا يوجد غير الله. والموجودات كلها هي الله على الحقيقة. ولا يعقل غير ذلك. ولولا أنهم تجليات الله لما أمكنهم أصلاً إقامة عمل فضلاً عن التأثير في الكون بإحداث الفساد ولما خاطبهم بتغيير فعلهم والاعتبار بأثره للرجوع إليه. فما ثم إلا الله وهو المحيط وكل ما سوى ذلك إنما هو الله يكلّم الله. وفي هذه الآية كلام الله مع مظهر من مظاهره الذي هو الناس. فيقول {ظهر الفساد} لأن الناس هم أصلاً ظهور الله، وظهور المظاهر أفسد باعتبار الوحدة المطلقة للحق تعالى ولولا حدوث هذا الفساد ولو توهماً وتخيلاً وحولاً لما كان ثمة شرك ولما احتاج الناس إلى الرسل الموحدين، فظهور الناس فساد، لذلك نتج عنهم فساد آخر في الطبيعة التي هي آية كل فساد باطني وفيها آية كل صلاح باطني أيضاً، {في البر والبحر} في الكثيف واللطيف، في الثابت والمتحرك، في الجوهر والعرض، أي في الطبيعة كلها. {بما كسبت

أيدي الناس} فنسب الكسب لأيدي الناس بالرغم من حصر الفعل في الله في الآية السابقة، بالتالي كسب أيدي الناس هو مظهر فعل الله لا غير، لذلك {ليذيقهم بعض الذي عملوا} فنسب العمل لهم بالرغم من قوله في آية أخرى "والله خلقكم وما تعملون"، وهم قد عملوا ذوقاً أي يجدون ذوقاً أنهم عملوا ويرون شهوداً ووجداناً أن العمل نابع منهم، فلا يوجد حقيقة غير فكرة الانفصال عن الله هي التي توهم الناس أن الله بعيد عنهم ومنفصل عنهم والحق أنهم لو نظروا في أيديهم سيجدون الله (حتى كلمة "الله" في خطها العربي تشبه الأصابع !) فقدرتك وهي يدك على الحقيقة ويدك الصورية كلاهما مظهر فعل الله. لهذا ظهر عنها فساد إن كسبت أيدي الناس الفساد، ويظهر عنها صلاح إن كسبت أيدي الناس الصلاح. بمجرد ما يختلّ ميزان التوحيد الأفعالي سيظهر الفساد في البر والبحر. من هنا أنزل الله الميزان الشرعي حتى لا نخلق ولا نرزق ولا نميت ولا نحيي إلا في الحدود التي أمرنا الله بها، فإن فعلنا ذلك كان فعلنا صلاحاً وأدى إلى صلاح البر والبحر. والآية هنا في المشركين تحديداً.

لاحظ أنه قال {بما كسبت أيدي الناس}، فلماذا لم يقل "بما اكتسبت أيدي الناس"، بناء على ما ورد في خواتيم البقرة "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"، أي "كسبت" تشير إلى خير، و"اكتسبت"

تشير إلى شر وفساد. فلما كانت الآية هنا تتحدث عن فساد كان اللازم حسب ذلك الإتيان بكلمة "اكتسبت أيدي الناس". فما معنى ذلك؟

جواب: لما كان كل فعل على الحقيقة-وهو سياق الآيات-هو فعل الله، وكل فعل الله خير، بالتالي حتى فعل الشر من الناس والفساد هو في حقيقته وجوهره خير لأن الله "بيده الخير" وليس الخير والشر إذ كل أمره خير وبالنسبة له لا يوجد إلا الخير. فأشار إلى كسب أيدي الناس بلفظة تدل على الخير تنبيهاً على التفريق بين ظاهر الفعل وحقيقته، فظاهره فساد لكن حقيقته خير، فقال جمعاً بين الاعتبارين {بما كسبت أيدي الناس} مع التنبيه على أنه فساد وينبغي الرجوع عنه. فما هو خير لله قد يكون شراً للإنسان، وعلى الإنسان الرجوع إلى خيره هو بغض النظر عن طبيعة الأمر بالنسبة لله تعالى.

جواب آخر: لما بيّن الله للناس العلاقة بين فعلهم وبين العالَم والتأثير فيه، وكانت هذه مناسبة لدعوتهم للرجوع إليه، كان فعلهم هذا بالرغم من فساده خير لهم مثل "لا تحسبوه شر لكم بل هو خير لكم" بالرغم من تسميته بالإفك والوعيد عليه بالعذاب الأليم والنهي عن الرجوع إلى مثله أبداً، لكنه كان خيراً من وجوه منها نزول كلام الله وبيان أحكام نافعة والاعتبار وتمييز المؤمن من المنافق وغير ذلك من خير كثير. فقد يكون الشيء الواحد خيراً وشراً باعتبارات

مختلفة. والعين الصحيحة تميّز كل ذلك وترى التداخل بينه وتحسن الاختيار فيه. كذلك الحال هنا. فما كسبته أيدي الناس مما أدى إلى ظهور الفساد في البر والبحر هو شر من حيث الفساد لكنه خير من حيث نزول الآيات وكونه فرصة للناس للرجوع إلى الله ومراجعة الحق والعدل والصلاح. كل ما أدى إلى خير فهو خير وإن كان شراً طالما أنه أدى إلى خير وكانت العاقبة خيراً.

جواب ثالث: لما كان الناس خلفاء الله فطرياً، والفطرة التوحيد، والتوحيد فسد بظهور الكون، كان الناس يسعون لاشعورياً لإفساد الكون حتى يبطل ويعود التوحيد ظاهراً قاهراً "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار". فسمّى سعيهم هذا لإفساد الكون كسباً لا اكتساباً لأن نيته الأصلية العميقة خير. لكن بقية الآية تبينّ مسلكاً مختلفاً وهو إبقاء الكون قائماً مع ظهور نور التوحيد في بيت الكون "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" البيوت مكان والغدو والأصال زمان ففي حدود المكان والزمان وهما الطبيعة ظاهرها وباطنها يوجد رجال يعلنون اسم الله ويذكرونه ويمجدونه ويظهرون وحدته وعلوه ولا يلهيهم تغير وتبدل وتفاعل مظاهر الكون مع بعضها البعض وتداخل أسبابها عن وحدة الحق المطلقة القهارية. فلم تغلبهم ظلمة الكون بل أناروا بنور توحيدهم الكون.

في بلاد الروم ينبغي أن يكون الفساد والصلاح موضوعاً للنظر دائماً. والفساد يُسمّى فساداً، وينبغي السعي في إصلاحه والرجوع عن أسبابه. ولا يُعطى إنسان ولا جماعة سلطة لمنع تسمية الشيء باسم الفساد أو الصلاح لأن الذين يرتكبون بأيديهم أسباب الفساد سيمنعوا الناس من تسمية فعلهم فساداً فيزداد الفساد ويعم الجميع ويمتنع الرجوع عنه والجهاد في سبيل إصلاحه. فالمشكلة ليست في وجود الفساد {ظهر الفساد} بل المشكلة في عدم الرجوع عنه {لعلهم يرجعون}، فطالما أن باب الرجوع مفتوح وكل ما يؤدي إليه ممهد ومضمون فلن يغلب الفساد الناس أبداً. توثيق تجارب الناس مع الفساد {ليذيقهم بعض الذي عملوا} أيضاً مهم، حتى لا يحتاج الناس إلى إعادة تذوق كل فساد لمعرفة ضرره وقبحه وشناعته، بالتالي توثيق التجارب وانفعالات الناس في كل الأمور والقضايا التي يمرون بها والحوادث التي تقع عليهم بسبب أعمالهم أمر حسن وخير عظيم ينبغي الاهتمام به حتى يكون مرجعاً وحجة في حال اقترح شخص عملاً يشبه عمل مضى أنتج فساداً أو بدأ أناس بعمل شيء يؤدي كما أدى في الماضي إلى فساد ذاق الناس منه الويلات والأمرّين. ومن هنا قال بعدها...

٤٢-{قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين}

السير في الأرض عمل الروم. والسير في الأرض يشمل كما بينا من قبل قراءة التواريخ والوثائق التي فيها أحوال الناس إذ منها يعرف الناس من كان قبلهم وعقائدهم وما آلوا إليه وسبب ذلك كله.

الآية تبينّ أن {أكثرهم مشركين} وليس كلهم. ومن كان مشركاً منهم أهلكه الله. بالتالي من بقي الآن من الناس ليسوا من المشركين أو ليسوا ممن الشرك غالب عليهم أو ليسوا ممن أغلقوا وسائل إصلاح ما هم عليه من شرك. بالتالي الأرض اليوم كلها مقدسة بدرجة أو بأخرى. لذلك أمر بالسير فيها، فهي مقدسة لأن الله طهرها من المشركين المستحقين للهلاك، فلم يبق عليها أحداً منهم، "هل تسمع لهم ركزاً" وكانت عاقبتهم أن دمرهم الله وقومهم أجمعين، بالتالي من لم يدمره الله ليس مشركاً شرك الهلاك وإلا لما بقي. من هنا قال {كيف كان عاقبة الذين من قبل} مما يدل على أنهم هلكوا وفنوا فلم يبقَ إلا أثرهم في الأرض سواء البقعة أو الصفحة "جعلناهم أحاديث".

فلن تجد في الأرض اليوم إلا موحداً بدرجة أو بأخرى من درجات العلم بالوحدة الإلهية أو أرضاً يستطيع أهل الوحدة تبليغ التوحيد فيها أو أرضاً يقول أهلها بالوحدة بألفاظهم وإن جهلوا حقيقتها. فالوحدة الإلهية هي الظاهرة في الأرض اليوم، وما كان من قبل انتهى. فماذا نفعل الآن؟ تفعل هذا...

٤٣-{فأقم وجهك للدين القيّم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله يومئذ يصدعون}

من أشرك فني، فمن يوحد سيبقى، {فأقم وجهك} أي لا تجعل همّك ولا اهتمامك ولا شغلك إلا بالدين وللدين وفي الدين القيّم، كالذي يجري يتخذ وجهة معينة ولا يلتفت، كذلك أنت {أقم وجهك للدين القيّم} إلى متى؟ ما بقيت في الدنيا، {من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله} فما دام الإنسان في الدنيا فلديه فسحة للعمل، وتبطل بالموت.

في أرض الحرية ستجد أناساً يشتغلون بالدين وأناساً قد أشركوا بأن جعلوا همّهم الأكبر غير الدين. أما أنت {فأقم وجهك للدين القيم}. وفي الدنيا لا تطلب الامتياز ولا تعتزل عن المشركين ومن لهم شغل

بغير الدين فتطلب مفارقتهم مفارقة كلية من كل وجه، كلا بل تخالط وتدعو وتأمر وتنهى وتذكّر وتجادل وتعيش وتكسب وتبيع وتشتري وغير ذلك، لأن اليوم الذي سيحدث فيه التصدع ويمتاز فيه صاحب الدين القيم من غير هو اليوم الآخر لا الدنيا ، ففي الدنيا لا يتصدعون بل في الآخرة {يومئذ يصدعون} وذلك حين يأتي {يوم لا مردّ له من الله}.

٤٤-{من كفر فعليه كفره، ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون}

في الدنيا ، من كفر فعليه كفره لذلك لا يهمك أنت إن كفر أو آمن، وهي الحرية الدينية في المجتمع، أي لكل إنسان أن يؤمن أو يكفر كما يشاء، وينبغي أن لا يقوم المجتمع على أساس التمييز الديني بين الكافر والمؤمن، بل يقوم على أمر الدنيا الذي هو المعاش وترك الأفراد أحراراً في دينهم وكلامهم وجدلهم. فالآية هنا تذكّر بهذه الحقيقة {من كفر فعليه كفره} أي ليس لك ولا عليك من كفره أي شيء، فلا تستطيع حتى أن تحتج بأن كفره يضرك بالتالي تريد تقييده اجتماعياً من الظهور بكفره، كلا، كفره عليه لا عليك، فليس عليك من ذلك شيء بالتالي ليس لك أي حق ضده. في أرض الحرية الدين حر من تدخل الناس، وكل أحد يظهر الدين الذي يريده. والحساب على الله

في الآخرة. {من كفر فعليه كفره، ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون} فالأول كفره عليه في الدنيا كما أن الآخر يمهد لنفسه في الدنيا ما يريده في الآخرة من الخير. فالدنيا في أرض الحرية مكان لظهور أعظم أعمال الإيمان وأقبح أعمال الكفر على السواء، هكذا تعرف مدى رقي وحرية وربانية الحكم في هذه الأرض، كلما استطاع الناس إظهار كفر أكبر وإيمان أكبر على السواء كلما كانت أرضاً أعظم وأرقى والناس فيها أعمق إنسانيةً وتحقيقاً لحكمة الله من الدنيا وابتلاء الناس فيها. لا يتقيّد ظهور الكفر إلا بتقييد ظهور الإيمان، لذلك ستجد أن البلاد التي تحارب ظهور الكفر أو ما تعتقد هي أنه كفر هي نفسها البلاد التي ستحارب ظهور الإيمان وما هو إيمان في نفس الأمر أيضاً وهو الغالب حسب عادة الظلمة الذي يحجون بإرادة حفظ الدين الحق لتبرير ظلمهم وتسلطهم الآثم على الناس في أديانهم وبيانهم كما قال فرعون "ذروني أقتل موسى" محتجاً بأنه يخاف أن يبدّل موسى دين الناس الذي هو الطريقة المثلى بزعمه. أعظم أرض هي الأرض التي يكفر بها أكبر كفر بالله والتي في المقابل تترك الرسل والأولياء لإظهار أكبر إيمان بالله. هذه الأرض هي وريثة آية {من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون} إذ يكون الإيمان والكفر يراد بهما وجه الله والدار الآخرة كل بحسب ما يدين ربه به وما يؤمن به. لذلك قال بعدها...

٤٥-{ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات من فضله، إنه لا يحب الكافرين}

فالذي يجزي المؤمن هو الله من فضله، والمؤمن في الدنيا لا ينتظر لا المجتمع ولا الدولة ولا طائفته ولا أي أحد من البشر ولا الطبيعة كلها لكي تجزيه على إيمانه وعمله الصالح بل إنما ينتظر ذلك إن انتظره من الله تعالى وفضله لا غير. لذلك لا يؤمن بالدولة الدينية-بالمعنى الشائع-إلا الكفار والمنافقين والملاعين والظالمين. ويستحيل أن تجد دولة دينية لا ينطبق عليها وعلى رؤوسها هذه الأوصاف ولو بعد حين وغالباً ليس بعد حين بل فوراً بل حتى من قبل ظهورها. لأن الذين يريد بدينه جزاءً في الدنيا قوة ومال ومنصب ومنفعة ونحو ذلك فهو مشرك يطلب الجزاء من غير فضل الله تعالى له وحسابه له في الآخرة، فلا شك أنه شاك أو كافر ملحد من الأساس يتوسل بالدين للدنيا. وأما المؤمن الحق فهو كما قال الله هنا {ليجزي الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات من فضله} وهذا هو الجزاء الذين ينتظره الذين "لأنفسهم يمهدون" في الدنيا بعمل الصالحات وترك الكفر وسبله.

لكن رفع الإكراه في الدين في الدنيا وترك كل أحد في المجتمع لكي يظهر كفره وإيمانه كما يشاء وبدون قيد من المجتمع والدولة عليه، لا يعني لا عند الله ولا عند رسله وأوليائه أن المؤمن يستوي مع الكافر. بل {إنه لا يحب الكافرين}. فالكافر الذي عليه كفره متروك في الدنيا ويجب تركه ليظهر كفره بقوله كما يشاء وبفعله في حدود نفسه وماله وما تُرك للعامّة في الأرض المشتركة والوسائل المشتركة ما يشاء من الكفر، لكن هذا لا يعني أن الله يحبه بسبب ذلك أو يؤمن الرسل والروم أن الله يحبه لذلك. بل {إنه لا يحب الكافرين}. فالحرية الاجتماعية لا تعني النسبية الإيمانية. هو حر ليكفر لكن كفره باطل والله لا يحبه. لا يوجد تناقض بين الأمرين. الدنيا ليست الآخرة، والحساب ليس في الدنيا، بالتالي يُترَك الكافر ليظهر كفره في الدنيا لأن حسابه على الله ونبلغه نحن الآن كرسل الله ما هي قيمته عند الله إن استمر على كفره، وسنسمي نحن عمله كفراً وسنذكره به ولن نقول عن الكفر أنه إيمان أو أننا لا نعرف ما هو الشيء هل هو كفر أم هل هو إيمان كلا فالله قد أعطاناً كتابه وكشف لنا الحق وبينّ لنا الأمور حتى نعرف الإيمان من الكفر ونسمي كل واحد باسمه بقدر استطاعتنا وتوفيقه لنا. من الضلال في بلاد الحرية أن يكف المؤمنون عن تسمية الكفر كفراً فقط لأنه مقبول اجتماعياً إظهار الكفر، أو تسمية الإيمان إيماناً لأن الشائع وأكثر الناس لا

يعلمون ولا يريدون الدين والإيمان، هذا بحد ذاته من النفاق والريا ء والشرك والمعصية، لأنه يدل على كفر المؤمن بفرديته وتفرده ووجود إظهار فرديته ورأيه وكلامه حتى في وجه أكثرية المجتمع من حوله ولا يخاف لومة لائم لأنه لا يخاف ذبحة ذابح في مجتمع الحرية بسبب كلامه فلا يبقى عليه إلا تحمل اللوم وهو أمر نفسي لا يخافه أو تحمّل ابتعاد الناس عنه وعدم تعاملهم معه وهو لا يبالي وسينصره الله في الأمرين بتعزيز نفسه وبإمداده بأنصاره طالما أنه ينطق بالحق كما يراه حيث لا إكراه. الكفر كفر ولو كنت حراً في إظهاره، والإيمان إيمان ولو كفر به الكل إلا واحداً بمفرده. والمرجع النهائي هو الله الذي يفصل بين الناس في الآخرة. الدنيا تقوم على الحرية والآخرة على الحساب. فمن جعل الحساب في الدنيا فقد استعجل وكفر وطغى، ومن اعتقد الحرية في الآخرة فهو أعمى وسيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب.

ضرب بعد ذلك مثال على هذه المعاني فقال..

٤٦-{ومن ءاياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون.}

الرياح مثال على الرسل. لذلك جاء في الآية بعدها "ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً"، وجاء بعد هذه الآية ذكر الرياح مرة أخرى "الله الذي يرسل الرياح". فذكر الرياح قبل الرسل وبعدها وكون الرياح مرسلة، فبينّ بذلك تأويل المثل.

بعد أن قرر في الآيات السابقة حرية الناس في الدين وأن التمييز بين الحق والباطل قائم حتى في أرض حرية الدين، سيرد سؤال هو: وكيف سيعرف الناس الحق من الباطل في بلد كل أحد فيها حر ليقول ما يشاء وينشر الدين الذي يشاء، ألن يخلط هذا الحابل بالنابل ويؤدي إلى تشويش عظيم، أو هل معنى هذا أن الله سيترك الناس بغير هداة؟ للرد على ذلك ذكر الرياح كمثال طبيعي على حقيقة الرسالة فإن كان الله لا يترك السفن في البحر فإنه لن يترك الإنسان في الدنيا ولن يترك الذهن في بحر ظلمات الأهواء والآراء المتناقضة بغير هادي من لدنه، وهم الرسل الذي هم رياح سفن المؤمنين في الدنيا. فانظر في المثل.

{أن يُرسل الرياح} بالجمع، أي هي رياح كثيرة، وكذلك الرسل كثر في الأرض دائماً، فما بقيت الرياح في السماء بقي الرسل في الأرض.

{مُبشِّرات} أوّل وظائف الرياح. تبشّر بما سيأتي من الماء النازل من السماء. كذلك وجود الرسول بين الناس وظهوره عبر حركته وحركة الرسول هي عكس "ليثبتوك" أي حتى لا يظهر ويتحرك ويتكلم على الناس ويفيدهم، فوجود الرسول وحركته مبشّرة بالفتوحات والإشراقات الإلهية والعلمية على الناس. وكذلك الرسول يبشّر الناس بأن الله سيفتح لهم ويعلمهم ويهديهم ويرحمهم وسيكون ذلك أيضاً على يد الرسول نفسه ومن خلال نفسه وذاته التي وجودها بحد ذاتها إشراق للنور الإلهي على الأرض. "وسراجاً منيراً".

{وليذيقكم من رحمته} الرسول رحمة "وما أرسلناك إلا رحمة" من وجوه كثيرة منها أن الله يرحم النفوس المؤمنة المتشوقة للقاء الله في الآخرة عبر إرسال تجلي من تجليات نوره لهم وهم في الدنيا وهو الرسول الذي رضاه رضا الله "الله ورسوله أحق أن يرضوه" بالمفرد، وطاعته طاعة الله "من يطع الرسول فقد أطاع الله"، ويده يد الله "يد الله فوق أيديهم"، وحضوره باختصار هو حضور الله "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله"، فرحمة الفرقة عن الله هي الاجتماع برسول الله، فهذا ذوق. وجه آخر أن الرسول رحمة من حيث بيان العلم والحكم الإلهي في كل أمر فيرحم الناس ببيان الحق والأحق وطرق دار

السلام والجنة بدلاً من الضياع والتشتت مع الأهواء السفلية والآراء الذهنية الوهمية.

{ولتجري الفلك فيه بأمره} الفلك هم المؤمنون، وجريانهم في بحر الدنيا هو بأمر الله المنكشف عبر رسله كما قال "جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا". فحتى يكون جريان ظاهر وباطن المؤمنين في الدنيا بأمر الله يبعث الله الرسل.

{ولتبتغوا من فضله} من معاني ذلك الدعاء المستجاب للرسل، كما قال "اسألوا الله من فضله"، فالمعنى أن الرسول موجود ليكون وسيلة لتحصيل الدعاء المستجاب والاستغفار المستجاب هو من الدعاء المستجاب كما قال "واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً" وقالوا "تعالوا يستغفر لكم رسول الله".

{ولعلكم تشكرون} كما قال موسى لقومه "اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء"، فحتى يحيا الناس حالة الشكر جعل الله الرسل في الأرض، والشكر ضد الكفر، والكفر ستر فالشكر انكشاف، أي بوجود الرسل يحيا الناس حالة انفتاح وانكشاف القلوب على الله

واستقبال نوره واستشعار حضوره، فيشكرون الله على ما أنعم عليهم من هذه الحياة الطيبة بصحبة رسله.

هذه خمس أصول تفسّر بعث الله للرسل. ثم بينّ عكس هذه الخمسة عبر حالة الكفر بالرسل في الآية التالية.

في مثل الرياح وجريان الفلك يوجد حجّة طبيعية على وجود الحق والأحق، وذلك كرد آخر على النسبية الباطلة التي قد تنتشر في أرض الحرية الدينية والفكرية والتعبيرية. فكما أن الفلك تجري باتجاه معين ولها غرض معين وكل ما يؤدي بها إلى الوصول إلى غير هذه الوجهة ولا يحصّل ذلك الغرض هو ضرر وسوء بالنسبة للسفينة، كذلك الحال في الإنسان فإن له وجهة يريدها وله غرض يطلبه فكل فكرة وقيمة لا توصله إلى ذلك فهي خاطئة وضارة بالنسبة له وفي الحقيقة. الإنسان يريد السعادة ويريد البقاء، كل فكرة عن الوجود لا تؤدي إلى ذلك تحرف مسار الإنسان عن مراده، وكل فكرة توصله إلى ذلك أو على الأقل تدعي أنها توصله إلى ذلك حتى يتبين بالتجربة الحال فإنها أحسن من غيرها، بالتالي يوجد فكرة أحسن من فكرة بالنسبة للفرد، وعلى ذلك للفرد ميزان يحكم به على الأفكار ويختار بعضها ويرفض بعضها بناء عليه، وعلى ذلك تبطل تلك الصورة من النسبية

الساذجة. ولا يهم أن يقال "لكن هذا اختيار بالنسبة لهذا الفرد وقد يختار غيره غير ذلك" نقول: نعم ونحن يهمنا الفرد ووجود ميزان عنده يزن به بغض النظر عن ما يفعله غيره، ثم إن السفينة التي تدفعها الرياح باتجاه مقصدها الأصلي تذهب وحدها هناك وإن دفعت نفس الرياح سفينة أخرى باتجاه غير مقصدها الأصلي، المهم أن تصل إلى مقصدك. كذلك الإنسان يريد البقاء والسعادة، وأكبر قدر منهما في الدنيا، والقدر المطلق منهما بعد الدنيا، وهو فرد ويريد البقاء والسعادة لنفسه أولاً وقبل أي شيء وكل شيء ولو في المحصلة النهائية لكن المهم أنه يسعى نحو البقاء والسعادة لنفسه كفرد.

وعلى هذا الأساس تجب محاكمة الأمور بدءاً من ما يريد كل فرد من وجدانه أن يجده من معاني السعادة إلى البقاء الذي لا اختلاف عليه في الجملة لأنه ببساطة أطول عمر في الدنيا لأن الدنيا حتماً محدودة ولو بعد ألف سنة-حسب المنظور الآن على الأقل وما سبق-لكن ما بعد الدنيا لا يُحد بمعنى أن الإنسان يريد البقاء أي الوجود المستمر في أكبر سعادة ممكنة ما بقيت نفسه. فهو ميزان في وجدان كل إنسان، بغض النظر عن التفاصيل التي قد تختلف ذهنياً لكن كل فرد يعرف وجدانياً أنه سعيد أم لا وهل يريد استمرار الحالة التي هو فيها أم لا فإن أراد استمرارها دل على حسنها عنده، وكذلك يعرف أنه باقي أم لا بكل بساطة لأنه إن كان واعياً فهو موجود وإن لم يكن

واعياً فهو معدوم بغض النظر عن مكان ودرجة وطبيعة الوجود الذي سيكون فيه.

٤٧-{ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم، فجاءوهم بالبينات، فانتقمنا من الذين أجرموا، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين}

في أول السورة ذكر الروم ثم قال حين يغلب الروم "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله"، وهنا ذكر الله الرسل ثم ختم بذكر نصر المؤمنين فالرسل هم المؤمنين هنا وهم الروم هناك، كما أن المؤمنين الذين هم أتباع الرسل داخلين فيهم كما أنهم داخلين في الروم. فالروم اسم يجمع الرسل والمؤمنين، وحين يُذكروا بالتفصيل يكون الرسل هم الأئمة والمؤمنين هم أتباعهم "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فالرسول يدعو ومن اتبعه من المؤمنين يدعو فهو داخل في اسم الرسالة ضمناً وتبعاً فهو رسول رسول الله.

{ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً} فأنت لست بدعاً من الرسل. طالما أن الله هو الذي أرسل من قبلك فهي سنّت الله، وسنّت الله لا تتبدل ولا تتحول، بالتالي إرسال الرسل تتراً هو من سنّت الله التي لا تتبدل ولا تتحوّل، وأنت أيها الرسول محمد مظهر من مظاهر هذه السنّة كما أن

الرسل من قبلك مظاهر لهذه السنّة الإلهية، والسنّة باقية لا تبطل ما بقي الله وبقي هذا العالَم.

{إلى قومهم} لأن الأقوام يختلفون اختلف الرسل، "بلسان قومه ليبين لهم"، فاختلفت ألسنة الرسل لاختلاف ألسنة أقوامهم، فكلما اختلفت الأقوام اختلفت الرسل، بالتالي كلما وجد الأقوام كلما وجد الرسل، وحيث أن الأقوام باقية إلى اليوم وهي ذات أحوال وألسنة وشؤون مختلفة فالرسل لابد من وجودهم بدرجة أو بأخرى من درجات الرسالة والفضل لكنهم مستمرون حتماً يبعثهم الله مصداقاً لسنّته في ذلك.

{فجآءوهم بالبينات} البينات تشمل معنى المبشرات "بشيراً ونذيراً"، وتشمل معنى الرحمة "وهدى رحمة"، ومعنى الأمر الهادي "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة"، ومعنى الفضل الإلهي "وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً"، وداعية الشكر "اعملوا آل داود شكرا" و "قالا الحمد لله الذي فضلنا".

{فانتقمنا من الذين أجرموا} كما قال موسى "إن هؤلاء قوم مجرمون" حين رفضوا أن يعتزلوه إن لم يؤمنوا له أي رفضوا تركه ودينه ومن اتبعه أحراراً ليدينوا بما يشاؤون ولكنهم أرادوا إكراههم كما فعلت

أقوام بعض الرسل كشعيب، هؤلاء الذين أجرموا سينتقم الله منهم، بأيدي المؤمنين وبغير أيديهم، كما انتقم الله بأيدي محمد رسوله والذين معه فقال "يعذبهم الله بأيديكم". بالتالي من شأن الرسل بعد محمد خصوصاً أن يحرّضوا المؤمنين على قتال المجرمين الطاغين على الناس في أديانهم وبيانهم، وانتظار الانتقام الإلهي المستقل عن فعل المؤمنين لم يعد خياراً للمستطيعين كما قال الله "ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا" فهؤلاء سألوا الله لكن الله كلّف المؤمنين بإخراجهم من الظلم الذي هم فيه، وظلمهم كان ظلمهم في دينهم أي لم يكونوا يعيشون حالة الحرية الدينية والكلامية فيخافون من إظهار دينهم بالكلام والدعوة والممارسة والصلاة وغير ذلك باختصار لا حرية دين ولا حرية تبيين، فأمر الله الرسول والمؤمنين بالقتال لكفّ طغيان الطاغين عليهم بالقتال والعنف فإن الطغيان على الدين والتبيين لا يكون إلا بالعنف فلا يزول إلا بالعنف عرفاً وشرعاً.

{وكان حقاً علينا نصر المؤمنين} الذين سينتقم الله بهم، أي الذين سيقاتلون لتحرير الناس في دينهم وكلامهم نصر الله معهم وسينصرهم الله وكان حقاً على الله نصرهم.

٤٨-{الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون}

الريح مكتوبة في الآية التي قبل هذه هكذا "الرياح" لكنها هنا خطها "الريح" ونطقها الرياح، لماذا؟ الرياح خير والريح شر مثل "لئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً" و "الريح العقيم". فلما كانت الآية التي قبل هذه كلها في الخير إذ الأمور الخمسة المذكورة كلها خير كانت كتابتها ولفظها "الرياح". لكن حين يكون للريح الواحدة وجه خير ووجه شر من وجهين مختلفين، فإنه يكتبها بوجه وينطقها بوجه آخر حتى يجمع بالإشارة إلى المعنيين. كذلك حال في القرءآن مثلاً وهو الرياح وهو الريح لأنه الروح-والرياح والريح أمثلة على الروح ورموز عليه-فإن القرءآن "شفاء ورحمة للمؤمنين" لكنه "لا يزيد الظالمين إلا خساراً" و "ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً". فالمعاني النازلة من القرءآن رحمة للبعض وعذاب للبعض، فهو رياح للمؤمنين وريح للكافرين.

{الله الذي يرسل الرياح} الرسل لأنهم الأحياء بالروح والذين تفعّل فيهم الجانب الروحاني. {فتثير سحاباً} السحاب هو الكتاب الذي يأتي به الرسول، وبالكتاب يثير الرسول سحاب الأفكار في عقول السامعين. {فيبسطه في السماء كيف يشاء} يبسط الله الكتاب في سماء الغيب وسماء قلب الرسول كيف يشاء الله فالرسول لا يتكلّم إلا بحسب ما يأخذه من الله ولا يبالي ما هي قيود البشر في الكلام وحدودهم فهو يتكلّم بحسب ما بسطه الله في سماء قلبه. وكذلك بعد سماع كلام الرسول يبسط الله هذه الكلمة في قلب السامع كيف يشاء الله وهو بحسب ما قدّره من خير للسامع والذي يرجع أيضاً إلى استعداد السامع ودرجته وقابليته. {ويجعله كسفاً} قطعاً، فالكتاب مقطع إلى سور وآيات. وكذلك بعد دخول الكلمة إلى السامع يبدأ رأيه بالتقطع والتشكيك والتردد ويراجع نفسه وما يراه ويعتقده. {فترى الودق يخرج من خلاله} من خلال مقاطع الكتاب تنزل المعاني إذ من ارتباط الحرف بالحرف يخرج المعنى وكذلك من ارتباط الكلمة بالكلمة يخرج معنى وكذلك من ارتباط الآية بالآية يخرج معنى وهكذا. والسامع أيضاً حين تتعدد الأفكار في سماء عقله وتتضارب وتتفاعل مع كلمات الرسل يخرج من خلال ذلك التلاقح والتفاعل الفكر والهمة والقلق والبواعث المختلفة. {فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون} يصيب الله بالروح القرءآني من يشاء من

عباده الأولياء الصالحين فيستبشر المؤمنين بالفتح والتنزيل القرءآني. وكذلك السامع إذا شعر بأنه أصابته حقيقة وفكرة صائبة بسبب كلام الرسل إذا هم يستبشرون أي تتغيّر بشرتهم فرحاً وتأثراً بحسن كلام الرسل فيقبلون عليه بسبب التأثير الذي حدث لهم في بشرتهم كما قال في الذين يسمعون ذكر الله "تقشعر جلودهم" فكلام الرسل لا ينحصر في العقل بل ينزل إلى الجسم أيضاً حتى يصل إلى أقصى حدود الجسم وهو البشرة فيؤثر فيها فتتغيّر بحسب حال السامع ومدى إيمانه وشرح الله صدره للإسلام لحسن إرادته وسلامة قصده.

٤٩-{وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين}

العبد إذا تُرك ونفسه فهو فقر محض، فهو مبلس بطبعه أو بائس وساكت ومتحير. لكن الاستبشار والحياة والنمو والحركة العقلية كلها من آثار إنزال الله للماء وكلام الرسل مع الناس. فالآية تذكير بالأصل وتذكير بالسبب الذي غيّر الأصل حتى يتعلّق الناس به ويعرفوا قيمته ويحفظوه وينصروه. فالعبد يائس ويتحوّل إلى راج، وساكت ويتحول إلى متكلم، ومتحير ويتحول إلى موقن، وذلك بوسيلة الرسل، فلولا ما أنزله الله على الناس بوسيلة الرسل ومن قِبَلِ الرسل وعبرهم لبقوا على إبلاسهم والذي من معانيه أيضاً التمرد

على الله أي لكانوا في حالة قطيعة ومضادة لخلافتهم الإلهية بالتالي في حالة تمرد على الله إذ يعيشون حياة غير التي أرادها الله منهم فبالرسل عادوا خلفاء من جديد وفعّلوا خلافتهم الكامنة فيهم حين بعثهم الرسل بكلامهم وبيانهم وبيناتهم. لذلك...

٥٠ -{فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير}

رحمت الله التي هي الرسل المضروب لها المثل بالرياح هنا مع ما يليها من إنزال الماء. الأرض هي الناس الذين يسمعون للرسل وهم الموتى النفوس اليوم فأحياهم الله بروح الرسل وكلامهم، وهذا فوق ذلك آية للإحياء الأكبر لكل الموتى في القيامة الكبرى. فبعث كل رسول هو قيامة صغرى، ودعوة التأويل وكشف بواطن الأمور وهي علم النفس الروحي هي قيامة صغرى بل هي القيامة المعتبرة لأن ما بعدها إنما ينبني عليها إذ "الدنيا مزرعة الآخرة" فمن زرع الجنّة بالعلم واتباع الرسل في الدنيا سيحصد الجنّة في الآخرة فانظر إلى السبب الذي بيدك وليس إلى الأثر الذي ليس بيدك وإنما ينبني على ما تقدّمه يدك اليوم.

قدرة الله على كل شيء لا تعني عدم وجود أسباب ووسائل ونظام للكون. فالآيات كما ترى كلها في الأسباب والوسائل ونظام للكون ومع ذلك ختمها بأن الله على كل شيء قدير. وهذا ينسف الخرافة العدمية، والتي هي قاعدة من قواعد الكفر بالرسل والرسالة والعلم والتأويل، أقصد الخرافة العدمية القائلة بأن قدرة الله على كل شيء تعني وتقتضي عدم وجود أسباب ولا وسائل ولا نظام للكون، وكأن أي سببية أو نظام كوني أي كأن أي سنّة هي انتقاص من قدرة الله المطلقة. هذا قول الذين كفروا والجاهلين. العقل يتخيّل احتمالات لا نهاية لها لكل حدث ومن كل نقطة، فحقيقة انتظام الكون على سنة واحدة لا تبديل لها ولا تحويل هو الشاهد الأكبر على وجود إرادة واحدة وقدرة فاعلة ضبطت المنحلّ ورسمت المسار أي وضعت الصراط المستقيم للكون "إن ربي على صراط مستقيم". فوضى الكون، وأي خرق للسنة هو فوضى وشاهد فوضى، من أسباب الكفر بالخالق لا الإيمان به. لماذا نقول "أي خرق للسنة هو فوضى"؟ لأننا إذا شهدنا خرقاً واحداً للسنة لأمكن لعقلنا بكل بساطة وله كل الأحقية أن يقول "هذا شاهد على خرق السنة وأنا لم أعش منذ الأزل وإلى الأبد في هذا الكون حتى أعرف عدد مرات خرق السنة، فبما أني شهدت خرقاً واحداً للسنة فهو دليل على وجود خرق، ووجود الخرق مع جهلي بعدد مرات الخرق يجعني مرتاباً في عدد المرات فلعلها كثيرة جداً إلى حد

يجعل الاعتقاد بوجود السنة من الأصل غير مبرر، فدخل الاحتمال على وجود السنة من الأصل فبطل الاستدلال بالسنة، بالتالي نفس افتراض وجود سنة تم خرقها هو افتراض غير مبرر لأن افتراض وجود السنة بحد ذاته تم إبطاله" هذا أقل ما يقال وهو حق لا يستطيع جاهل من منكري سنّت الله ردّها.

وحجّة أخرى: يستطيع العاقل بكل بساطة أن يقول "إن كان الله يستطيع أن يخرق أي سنة وأي علاقة بين أي سبب وأثر فلم لا يرحمنا كلنا ويخرج كل السنن ويجعل أي سبب موصل إلى أي أثر والسلام؟ لماذا هذا البخل بالرحمة والضن بها على الناس؟ فلماذا يجعل العدل والإحسان سبب نيل رضاه بدلاً من جعل الظلم والعدوان أيضاً سبب لنيل رضاه؟ لماذا يجعل استغفار الرسول سبباً لوجدان الله تواباً رحيماً بدلاً من أن يفتح الأمر ويوسّع رحمته علينا ويجعل حتى لعن الرسول سبباً لوجدان الله تواباً رحيماً؟ ولم الذهاب بعيداً، الآية التي بعد هذه تقول "ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّوا من بعده يكفرون" لماذا هذا الربط اليقيني بين رؤيتهم لاصفرار الريح والظلّ من بعده يكفرون؟ لماذا لا تكون الرؤية سبباً للإيمان بعده؟"

وهلمّ جراً في سلسلة من الهراء لانهاية لها تجعل القرءآن كله من أوله إلى آخره باطلاً والعلم فاسداً والإيمان كفراً واليقين هزواً والاعتقاد بحكمة الله لغواً، كل هذا باسم "الله على كل شيء قدير"

وهو أمر لن تجده في كتاب الله من أوله إلى آخره. لن تجد الله يذكر إطلاق القدرة إلا وستجد قبلها أو أثناء الآية أو بعدها ذكر لنظام الكون وسنّته فيه وهو احتمال من الاحتمالات اللانهائية عقلاً ومع ذلك يحدد الله ظهور القدرة المطلقة عبر صورة محددة واحتمال مخصوص. فإطلاق القدرة الإلهية يظهر في انتظام السنّة الكونية. وبدون الانتظام يفسد النظام ويبطل الإسلام ويلغو الكلام.

٥١-{ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّوا من بعده يكفرون}

الإنسان لا حكم بما يراه بعين رأسه لكن بما يراه بعين عقله. فالرأي هو الرؤية بالنسبة للإنسان. لذلك نفس المرأى الظاهري والشكل الطبيعي والحدث الكوني إذا رآه عشرة قد ينفعلوا له بعشرة انفعالات مختلفة من النقيض إلى النقيض بالرغم من أن العشرة يرون بعين حسّية واحدة مشتركة وكلهم يصف الصورة والتخطيط بنحو موحد بشكل عام. بل الرأي يؤثر حتى على رؤية العين الحسية، فيجعله يركز على شيء دون شيء، أو يقدّم شيئاً على شيء، أو لا يرى شيئاً بالكلية لأنه لا يريد أن يراه ولا يعتقد بوجوده من الأساس. وهي الحكمة التي علّمها سليمان ملكة سبأ في قصّة العرش، لأنها كانت تتبع المحسوس المضروب مثله بعبادة الشمس، فعلّمها سليمان أنها في الواقع لا تتبع

إلا المعقول لا المحسوس بدليل أنها رأت عرشها حساً ومع ذلك أنكرته ولم تجزم بأنه عرشها بالرغم من كونه في الواقع وفي نفس الأمر عرشها إلا أن الذي جعلها تشكّ استبعادها بحسب رأيها لانتقال عرشها بهذا النحو. الخلاصة، الإنسان يرى برأيه ورأيه يحدّ رؤيته.

من هنا قال {ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّموا من بعده يكفرون} فرؤية الريح مصفراً ينذر بالعذاب والهلاك لن يجعلهم يغيّرون رأيهم في الرسالة ويؤمنون بها ، كما فعل القوم الذين رأوا سحابة الهلاك فقالوا "هذا عارض ممطرنا" بالرغم من أنها أنها ما استعجلوا به من العذاب. وكذلك قول الله في الذين لو عرجوا في السماء لقالوا "إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون". وغير ذلك آيات كثيرة تشير إلى أن رؤية صورة طبيعية لا تعني بالضرورة حصول فكرة عقلية وهمّة إيمانية. أي باطن النفس لا يتغيّر فقط بسبب الصورة الطبيعية. وهذا لأكثر من سبب من أبسطها أن الصورة الطبيعية تحتمل تفسيرات عقلية كثيرة وقد تكون متناقضة ومتضادة ومتضاربة ومحتملة ومشكوكة بحسب ما في عقول ونفوس الناظرين. فالذي يقرأ آيات الرياح السابقة قد يقول: فلماذا حين يأتي الرسل ويتكلّمون لا يؤمن كل الناس بهم؟ الجواب: لأن الرسل وكلامهم شيء

خارج السامعين والرسول منفصل عنهم وهو بالنسبة لهم ظاهرة طبيعية وإنسانية مستقلة عنهم، بالتالي لا يتصرّف الرسول من داخل قلوبهم لأنهم يكفرون ولو ءامنوا فتلك قضية أخرى لكن الكلام عن الكفار الذين لم يسلموا بعد ويؤمنوا ويحبوا الرسول فهؤلاء الرسول لا يكرههم ولا يتصرف بهم تصرفاً قلبياً يغيّرهم ويرفع درجتهم إذ هو ليس وكيلاً ولا حفيظاً عليهم ولا هو عليهم بجبّار باختصار لا يفعل فيهم باستقلال عن إرادتهم. فلم يبق إلا أن الرسول ظاهرة طبيعية مثل طلوع الشمس وكلامه مثل نزول المطر، بالنسبة للسامع والرائي قد لا يؤمن ولا يتغيّر لأن له تفسيره الخاص وإرادته الخاصة المغايرة لمقتضى الإيمان وقبول الرسالة، فهذا لن ينفعه لا إرسال الرياح ولا إرسال الريح ولو رأى الهلاك أمامه بشبرين لما تغيّر بل ولو أراه الله آياته كلها لكذّب وأبى كفرعون والوهابية عادةً. لذلك قال بعدها لرسوله...

٥٢-{فإنك لا تسمع الموتى ولا تُسمع الصمّ الدعاء إذا ولوا مدبرين. وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تُسمع إلا مَن يؤمن بآياتنا فهم مُسلمون}

وهو ظاهر بحسب ما قدّمناه. فلا سماع الرسول ولا رؤيته ستهدي أحداً، مما يدل على أن رؤية الرسول بحد ذاتها وسيلة للهداية بشرط

وجود الاستعداد من الرائي، فليس فقط سماع الرسول بل رؤيته أيضاً سبب للهداية، لكنه سبب قاصر لا يفعل بنفسه بدون الحال النفسي للمتلقي للرؤية والكلمة، لذلك قال {إلا مَن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} فالإيمان عقل والإسلام إرادة، والنفس ما بين العقل والإرادة، فمن كان عقله مؤمناً بآيات الله وإرادته مسلمة لله وعنده استعداد وقابلية لذلك من قبل حتى رؤيته وسماعه الرسول، هذا هو الذي سينفعه الرسول، لأن الرسول لا يُكره أحداً في عقل أو إرادة. فالرسول لا يغيّر الناس، لكن ينفع فئة من الناس.

من الواضح أيضاً أن قوله {فإنك لا تسمع الموتى} ليس المقصود به الموتى بأجسامهم لكن هم نفس الموتى الذين في الآيات قبلها مثل "إن ذلك لمحيي الموتى" وهو المثل المضروب هنا. فمن السخف الاعتقاد بأن الله يخبر الرسول أنه لا يستطيع أن يُسمع الموتى المدفونين في مقبرة البقيع (الظريف في الأمر أن حتى هذا السخف غير صحيح لأنه حسب الخبر يسمع هذا الصنف من الموتى ! فتأمل عمق ضلال الظاهريين الذين يعلمون ظاهراً من كلام القرءان وهم عن باطنه هم غافلون) ، لكن الكلام متصل، فالكلام عن الرسول والرياح شيء واحد وسياق واحد، والمقصود موتى القلوب وموتى النفوس وموتى الروح أي موتى الباطن من أحياء البدن، هؤلاء لا يسمعهم ولا

يهديهم إذ العمى هم عمي القلوب "لكن تعمى القلوب التي في الصدور". فالكلام متصل كما ترى والأمثال مقرونة بتأويلها والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم في فهم كلامه.

توجد طبقة من الإيمان والإسلام تتكوّن في الإنسان قبل لقاء الرسول وهي مستقلة عن وجود وفعل الرسول. هذه الطبقة الفطرية من الإيمان والإسلام هي التي على أساسها ينتفع الإنسان بالرسول وكلامه. لذلك قال {إن تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون}، وإلا فمن المستحيل الاعتقاد بأن الحكيم يقول: لن يؤمن بآياتنا إلا من يؤمن بآياتنا ! ولن يسلم إلا من يسلم ! فهذا كلام لا معنى له. فالمعنى أنه يوجد إيمان وإسلام سابق على الرسول، وهو "فطرت الله" التي وصفها بأنها "ذلك الدين القيم". دين الله في كل إنسان سابق ومستقل عن الرسل. لذلك حين يختلف الناس في الرسل يجب التحاكم إلى هذا الدين الفطري. وحين يشك إنسان في رسالة يجب أن يحاكمها إلى هذا الدين الفطري. الدين الفطري أساس الدين الشرعي بل شرعية الدين الشرعي تعتمد على توافقه وبنائه على الدين الفطري لا مناقضته له. أي مناقضة للدين الفطري تبطل الدين القادم من الخارج، لأن الفرد يعرف ما في ذاته ويشك في ما هو غير ذاته، وما

في ذاته هو الدين الإلهي الفطري وما هو غير ذاته هو الدين الرسولي اللساني، واليقين لا يُنقض بالشك.

٥٤-{الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير}

بالنسبة للجسم، الآية تذكر أطواره الثلاثة الكبرى الطفولة والرجولة والشيخوخة التي هي طفولة مع نهاية الحياة كما أن الطفولة طفولة مع بداية الحياة والرجولة في الوسط التي هي قمّة النمو الجسماني. فالجسم وسيلة مؤقتة للنفس. والنفس تريد ما في جوهرها وهو البقاء، لكن الجسم غير باق، بالتالي إرادة البقاء هذه التي في النفس ليست من الجسم لأن الجسم لا يقتضيها بحسب حقيقته. النفس تريد النمو المستمر والتوسع، لكن الجسم ليس كذلك بل هو دائرة من الضعف إلى الضعف والموت، بالتالي إرادة النفس التوسع هذه ليست من الجسم ولم يعلّمها الجسم إياه ولا الطبيعة الخارجية لأنها كالجسم في حقيقتها إذ الجسم الطبيعي من الطبيعة ويأخذ خصائصها الجوهرية. وهذا من الأدوية الفكرية الموصوفة كعلاج للذين لا يؤمنون ويسلمون بفطرتهم ممن وصفتهم الآية السابقة، أي الذين يختارون التركيز على أجسامهم دون نفوسهم، بالتالي ينكرون العلم النبوي والتأويل

الباطني والأمر الروحي الإلهي والشأن الأخروي. جاء هنا وذكّرهم بحقيقة أجسامهم التي حصروا أنفسهم فيها، لعلهم حين ينظرون في فناء الجسم يطلبون بقاء الروح ويتذكرون حقيقة نفوسهم الخالدة بجوهرها.

تحوّل الجسم من ضعف إلى قوة ثم فقدانه القوة دليل على أن القوة ليست وصفاً ذاتياً للجسم، وإلا فالذاتي لا يخسر ذاتياته، ففيها دليل على أن القوة عارضة طارئة عليه من غيره، وهو الذي {يخلق ما يشاء وهو العليم القدير}، فذكر المبدأ الأعلى للخلق والعلم والقدرة حين ذكر تجلي من تجلياته المحدودة الذي هو الجسم المخلوق في أطوار والذي صفاته تعلو وتنخفض مع الزمن، فلا الجسم حدد لنفسه هذه الأطوار بل حددها له غيره وهو الخالق الذي {يخلق ما يشاء} ولا الجسم حدد لنفسه مقدار القدرة التي ستكون فيه ولا حدد لنفسه مدى العلم الذي سيكون فيه. كل هذا يدل على وجود مصدر أعلى غيبي لأننا لا نراه يخلق ويعلم ويقدر.

مرة أخرى لاحظ أنه ذكر {يخلق ما يشاء} فأطلق المشيئة بالرغم من كون المخلوق هو مظهر محدود وتعينّ خاص للمشيئة. يستطيع أن يخلق ما يشاء، لكنه شاء هذا الخلق المحدد أي من ضعف إلى قوة

إلى ضعف وشيبة، وكان باستطاعته أن يجعله ضعف مستمر أو قوة مستمرة أو غير ذلك من التركيبات والاحتمالات اللانهائية مثل أن يكون ضعف ثم قوة ثم ضعف ثم قوة ثم ضعف ثم قوة ثم ضعف وشيبة ثم قوة وهكذا إلى ما لا نهاية من الاحتمالات الكمية والكيفية. من بين هذه الاحتمالات كلها شاء أن يخلق هذا الاحتمال. بالتالي المشيئة المطلقة ذاتياً لا تظهر إلا موحّدة صورياً. وتوحيدها الصوري هو آية إطلاقها الذاتي، لأن إطلاقها معقول وتوحيدها مشهود، فلما عقلنا الإطلاق وشهدنا التقييد والتوحيد عرفنا وجود شيء غيبي قيّد المطلق وهو الإرادة الإلهية بالأمر الإلهي "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"، فهذا الأمر الإلهي هو الذي أخرج المقيّد من المطلق وأظهره موحّداً. بالتالي الاعتقاد بأن فوضى القدرة والمشيئة الإلهية هي الدليل على وجودها وحقيقتها وعلو مقام الله هو من الجهل العظيم ووسائل الكفر كما بينا من قبل، والآية هنا شاهد آخر على ذلك المعنى.

في العلم، النفس أيضاً تبدأ من ضعف وهو عدم العلم "أخرجكم من بطونكم أمهاتكم لا تعلمون شيئاً". لكن العلم خلافاً للجسم يمكن أن يستمر إلى ما لانهاية في النمو، "رب زدني علماً". نعم قد ورد في أخرى "لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً" وهو من الضعف أيضاً بعد

ذلك، لكن هذا يقع على مستوى الجسم وبسببه، وأما النفس الروحانية فيبقى معها علمها إلى ما لانهاية كما قال "ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات" فعلى أحد تأويلات هذه الآية، الرد إلى أرذل العمر أي عدم العلم بعد العلم لا ينطبق على الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات، بل يحفظ الله عليهم علمهم في نفوسهم ويزيدهم منه إلى الأبد، كما في الشهداء ومن باب أولى الصديقين والأنبياء. إلا أنه يوجد تناظر أيضاً بين النفس والجسم باعتبار ما، أي من الجهل إلى العلم إلى الجهل مرة أخرى كذلك الجسم من الضعف إلى القوة إلى الضعف مرة أخرى. وهذا التناظر الأصلي شاهد آخر على مبدأ التأويل الباطني المشتق من التنزيل الظاهري. وفيه تأكيد على ما سبقها من ايات حيث جعلت الموتى والصم والعمي كأمثال على الموت والصمم والعمى الباطني القلبي لا الظاهري الجسماني.

وجود التغيّر في العالَم دليل وجود الثابت في الوجود. هذا مفاد {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة} فالله هو الثابت في الوجود، والثابت هو الذي يحرّك ويغيّر المتغيرات والمتحركات والمتبدلات والمتطورات. وبيان ذلك: التغيّر يحدث في الوجود، فنحن نرى شيئاً ثم يتغيّر ثم يتغيّر مرة أخرى وهكذا، لكن هذه التغيرات

كلها موجودة ومتحققة بدليل شهودنا لنا ووجداننا للتغيير، فالذي أحدث التغيرات لا يمكن أن يكون المتغيّر نفسه لأنه لم يكن ثم كان ثم انعدم مرة أخرى فلو كان المتغيّر نفسه هو المحدث لنفسه فكيف أوجد نفسه حين كان معدوماً وكيف حدد كيفية ظهوره حين لم يتحدد أصلاً وقبل تحدده وتحققه، ثم كيف أعدم نفسه بعد تحققه وثبوته النسبي، كل هذا غير معقول ولا مشهود حتى من أنفسنا ، فنحن لم نختر هذه السلسلة من التطورات لأجسامنا ولا لنفوسنا ، لا من حيث القوة والضعف للجسم ولا من حيث العلم والجهل للنفس، نحن لم نختر ذلك وأنا لم يستشيرني أحد في ذلك على الأقل ولا أدري عنك لكن أظنك مثلي في هذه القضية، وإذا كان هذا حالنا فمن باب أولى أن يكون حال النبات والحيوان والمعادن والأشياء كلها المتغيرة على هذه الشاكلة لأن ظاهرة المتغيرات واحدة في جوهرها بغض النظر عن تفاصيلها والاختلافات بينها في الشؤون الأخرى، كلامنا عن جوهر التغيّر في المتغيرات بشتى أنواعها وأنواع تغيرها. العقل يوجب افتراض ثابت وراء المتغيرات. والآية تضع اسماً على كل ذلك فتقول {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة}، فالثابت هو الله والمتغيرات هي المخلوقات والتغيّر هنا مثلاً هو من الضعف إلى القوة إلى الضعف والشيبة، وقس ذلك على بقية المتغيرات بأنواعها وأنواعه. فالله ليس الثابت المنفصل عن المتغيرات، بل هو

الثابت المغيّر للمتغيرات والمتجلي في المتغيرات بدليل تجلي صفة القوة في المتغيرات هنا {من بعد ضعف قوة} والقوة سمة الله تعالى "لا قوة إلا بالله" و الله هو "القوي"، فالقوي اسمه والقوة سمته وهذه السمة الذاتية له تجلت في الخلق بالقوة النسبية التي يجدها الخلق فيهم جسماً ونفساً لكن التجلي لا يعني حصول المتجلى به على الصفة بنحو لا يمكن فصلها عنه وغروب شمسها عن ذاته بل يمكن غروبها بدليل {ثم جعل من بعد قوة ضعف وشيبة} وهكذا في كل صفة إلهية أخرى تجدها في الخلق، وجودها في الخلق فرع لأصل وظل لشخص وشعاع لشمس وعارية لمالك والأمثال كثيرة والمعنى واحد. من هنا نأخذ مبدأ من مبادئ التأويل: كل ما في الخلق من كمال نسبي تأويله ما في الحق من كمال مطلق ذاتي. فحين نشهد التغيرات نحن نشهد آيات الله، تجليات أسماء الله. والله يعلّمنا عن ذاته برؤية خلقه. ويعلّمنا عن أنفسنا برؤية ذاته وخلقه. لذلك "نسوا الله فأنساهم أنفسهم".

لاحظ تركيب الآية: {الله} المصدر الثابت. {الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة} التغيّر والمتغيرات. {يخلق ما يشاء} فعل المصدر الثابت. {وهو العليم القدير} التأويل النهائي للتغير هو الكشف عن الأسماء الإلهية

المطلقة. فبدأ بالله وانتهى بالله، وما في الوسط فعل الله وتجلي الله ومشيئة الله. وهذا معنى: ما في الوجود إلا الله. لأنك ما بين ذاته واسمه وفعله ومشيئته وتجليه وصفته وآيته.

النظر للعالَم بدون الله هو غرق في بحر المتغيرات. سيصبح المصدر في حكم العدم لعدم شهودك له، والمآل عدماً لعدم علمك به، وسبب التغيّر مجهول، وسبب كيفية التغيّر مجهولة، وسبب كون المتغيرات على هذه الشاكلة دون غيرها من المعقولات مجهولة، وانتهاء الجسم إلى الموت والنفس إلى الجهل عدمية سلبية مجهولة المقصد معدومة الفائدة. فالنظر للعالَم بدون الله هو عدمية مغرقة في العدمية. لكن لأن الإنسان حر في النظر للعالَم كما يشاء، ستجد في أرض الحرية كلا الفريقين من الناس، الفريق الذي ينظر للعالَم بعين الله والفريق الذي ينظر للعالَم بعين العدم. الذين ينظرون بعين العدم سيعيشون بدون العلم وبدون الإيمان، وسيقطعون صلتهم بالله والرسل، وسيعيشون كأنه لا توجد إلا الدنيا، وعن هؤلاء وردت الآيات التي بعد هذه.

٥٥-{ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون}

الجرم هو القطع، أي الذين قطعوا صلتهم بالله والرسل والعلم الحق. العقل يقضي بوجود الشيء وضده، ونحن نرى ذلك في كل مكان، وضد الدنيا الآخرة فالعقل يقضي بوجود الآخرة كضد للدنيا.

الزمن دليل وجود شيء ما وراء صورة المادة. فالزمن تغيّر المادة. كما رأينا في الآية السابقة تغيّر الجسم من ضعف إلى قوة إلى ضعف، فهذا التغيّر يحدث في الزمن وبدون الزمن لا تغير. والزمن شيء نفسي غيبي وليس مادي وإن كانت المادة تكشف عنه بحدوث التغيرات فيها. لذلك يتغيّر استشعارنا للزمن بحسب حال نفوسنا، فقد تشعر بالساعة كيوم واليوم كساعة، بحسب مدى سعادتك وبسطك وملائمة ما أنت فيه لما في نفسك وغير ذلك من اعتبارات. والزمن يصبح أبطأ كلما ركّزت على جسمك، لذلك مثلاً حين تتألم وهو أشد تركيز على الجسم وغياب للاعتبارات العقلية إلى حد كبير كلما ازداد الألم كلما شعرت ببطء الزمن حتى تصبح الدقائق كأنها أيام. إذن كلما ركزت على جسمك كلما كان الزمن أبطأ، وكلما ركّزت على نفسك وكنت في سعادة وبسط كلما كان الزمن أسرع، أقصد من حيث استشعارك له لا من حيث كمّية التي يمكن قياسها بآلة منفصلة، فالساعة ستين دقيقة سواء كنت في الفردوس أو في

جهنم أقصد نفسياً، لكن نفسياً لن يشعر الفردوسي بالساعة كشعور الجهنمي بها. هذه العلاقة النفسية بالزمن دليل على وجود اعتبارات غير جسمانية بحتة في حياة الإنسان. وكل لحظة وجود جديد متجدد، والنفس تحيا في الآن، والماضي بالنسبة لها عدم، وكل ما هو قائم فيها فهو قائم الآن حتى لو كان ذكرى عن الماضي فهو حاضر الآن بغض النظر عن مصدره الأول. من هنا {يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة} حين تقوم الساعة، لأن قيام الساعة سيبدّل العالَم ويصبح باطنه ظاهره، وستصبح الدولة والظهور للنفس على الجسم كما أن الدنيا ظهور الجسم على النفس. فستظهر قلة الدنيا على حقيقتها وأنها لم تكن إلا ساعة أو أقل بالنسبة للأبدية التي ستنكشف في الآخرة وتستشعرها النفوس الحية اليوم. فالنفس الحية تفكّر بمنطق الأبدية، والنفس الميتة في الجسم الدنيوي تفكّر بمنطق اللحظة الحالية. {كذلك كانوا يؤفكون} في الدنيا كانوا يفكّرون فقط لموت نفوسهم بالجهل باللحظة الحالية، وظنوا أنهم لن يحولوا ولن يزولوا وستستمر هذه اللحظة الدنيوية ولن يحصل تبدّل في العالَم، فبدلاً من الاعتبار بتبدّل جسمهم من ضعف إلى قوة إلى ضعف ليعرفوا مبدأ التبدل في العالَم، وبدلاً من النظر في وجود الضعف وضده القوة وكذلك كل الأضداد في الطبيعة فيعرفوا مبدأ وجود الأضداد بالتالي يعرفوا وجود الآخرة التي هي ضد الدنيا، وبدلاً من النظر العقلي في الثابت

والمتغير، والنظر في المحدود كعلامة على وجود اللامحدود، كل هذا لم يفعلوه، بل كانوا يؤفكون أي يكذبون على أنفسهم ويخترعون البهتان العظيم الذي هو الاعتقاد باستمرار الدنيا على ما هي عليه وأن اللحظة الحالية ستستمر كما قال صاحب الجنتين "ما أظن أن تبيد هذه أبداً"، وبنوا على ذلك ما بنوا حتى قامت الساعة وانتهت دولة الدنيا الجسمانية وجاءت مملكة الآخرة النفسية والروحية.

{ويوم تقوم الساعة} حين يتعلّم الجاهل من الرسول ويقوم روحياً من موت الجهل إلى حياة العلم والقرءآن ورؤية باطن العالَم، {يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة} سيشعر الذين كانوا منقطعين عن الرسل من بل بحياة جديدة وولادة جديدة تماماً وسيشعروا بأنهم ولدوا من جديد فكأنهم لم يلبثوا في الدنيا بعد قيامتهم المعنوية إلا ساعة وهي الساعة الحالية التي جاءت بعد القيام، وما مضى من عمرهم سيعتبرونه في حكم المعدوم أو غير المعقول الذي لا يعرفون صاحبه وسينظرون إلى أنفسهم الماضية كأنها نفوس غريبة عنهم ويستغربون ما كان يصدر منهم حينها. {كذلك كانوا يؤفكون} كذلك سيكتشفون كل الإفك الذي أُلقي إليهم والمكر بالليل والنهار الذي تعرضوا له على أيدي سادتهم وكبراءهم حين كانوا ضالين وجاهلين.

٥٦-{وقال الذين أوتوا العلم والإيمان، لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون}

يوم تقوم الساعة لا اعتبار للشخص من حيث هو شخص لكن الاعتبار فقط لما أوتيه من علم وإيمان. فالعلاقات في أرض الحرية وعند الأحرار ويوم تقوم ساعة الدعوة الباطنية وكذلك في الآخرة الكبرى، في كل ذلك المعتبر في الإنسان هو علمه وإيمانه وهنا سيجد قيمته، أي الاعتبار ليس للشخص لأن كل الأشخاص سواسية من حيث الإنسانية، فالاعتبار لغير الشخصية، ويوم تقوم الساعة الاعتبار للعلم والإيمان لأن ما سوى ذلك هو المال والمال وسيلة للعلم والإيمان كما مضى في آيات الإنفاق. نعم في أرض الحرية اليوم ستجد أناس يعظّمون المال وأناس يعظّمون العلم وأناس يعظمون الإيمان، لكن عند أهل الدعوة الباطنية ستجد الاعتبار فقط للعلم والإيمان والمال خادم ووسيلة ولا يتقيّم الإنسان بناء عليه فقط لأن أهل الدعوة الباطنية اليوم هم مظهر الآخرة الكبرى غداً. لذلك {قال الذين أوتوا العلم والإيمان} ولم يسمّيهم باسم شخصي معين ولم يحددهم بغير كونهم أصحاب علم وإيمان. من هنا تجد أهل الله يهاجرون ولو بترك أهلهم ومالهم كما في آية المحبة "قل إن كان آباؤكم"، لأن العلاقات المعتبرة في الآخرة الكبرى وبالتالي العلاقات التي يجب

اعتبارها اليوم هي المبنية على العلم والإيمان، لا الجسم والأموال، فالجسم دولة الكافرين ولا يعتبره المقياس الأكبر إلا الكافرين الجاهلين، والمال خادم ووسيلة فلا يُطلب لذاته ولا يعكف عاقل عليه لنفسه، فإذا صار الله ورسوله وجهاد في سبيله في طرف والعلاقات الجسمانية والأموال في طرف فأولي العلم والإيمان يختارون طرف الله ورسوله وهم حزب الله الغالبون وأصحاب طرف تقديم الجسم والمال هم حزب الشيطان الخاسرون. الأب من يعلّمك عن الله والأم من يعلّمك عن العالَم، والابن من يتعلّم منك، والأخ من يتعلّم مثلك، والزوج من يتعلّم معك "أسلمت مع سليمان" والعشيرة من هم على مثل حالكم في الاجتماع للعلم وبالعلم، ومالك علمك، وتجارتك تعلمك وتعليمك، ومسكنك الحقيقة. هؤلاء حزب الله وحزب الله هم الغالبون.

في هذه الآية، العلم ما في كتاب الله، والإيمان رؤية ما في كتاب الله متحقق في الواقع. لذلك ستجد جملتين، الأولى توازي "العلم" والأخرى توازي "الإيمان"، بهذا الترتيب، لأنه لا إيمان إلا بناء على علم إذ لا يمكن أن تشهد ما في كتاب الله في الواقع إلا إن كنت تعلم أصلاً ما في كتاب الله، وهذا بديهي. الجملة الأولى العلمية هي {لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث}، الجملة الأخرى الإيمانية

{فهذا يوم البعث}، لم يعرفوا أن هذا هو يوم البعث لماذا ؟ {لكنكم كنتم لا تعلمون} أي لم تعلموا ما في كتاب الله عن يوم البعث، بالتالي لم تعرفوا أن {هذا} هو يوم البعث، هو أمر بديهي. فالأولوية إذن للعلم بما في كتاب الله اليوم والآن.

حين يحيي الرسل النفوس من موت الجهلة والغفلة إلى حياة العلم والعقل والقرءآن، سيذكّرون أتباعهم بهذه الحقيقة وهي {لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث} أي سيعلّمونهم باطن آيات البعث التي في كتاب الله، حتى يشهدوا كل آيات الآخرة بكل تفاصيلها الآن، سيشهدونها في نفوسهم الآن عبر تأويلها العلمي والباطني. وأول ما سيذكرونهم به حقيقة البعث ذاتها ، لأنهم قد بُعثوا الآن من موت جهلهم "أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات" "أخرج قومك من الظلمات إلى النور" فهو بعث إذن، أمره بأن يخرجهم من الموت إلى الحياة، من الظلمات إلى النور، من الجهل إلى العلم. فلما شهدوا حقيقة البعث في نفوسهم الآن سيقولون لهم {فهذا يوم البعث} كل حالة للنفس هي يوم، "يوما عبوساً قمطريرا" والعبوس حالة نفس لا زمن مجرد ، بل الزمن المجرد "اليوم" سيصبح نفسياً عند الأحياء بالروح والعقل، فالمهم سيصبح أيام نفوسهم لا أيام ساعاتهم ودقائقهم. كل حالة نفس هي يوم،

وتختلف الأيام باختلاف شؤون النفس وتقلباتها ، كما قال الله عن نفسه "كل يوم هو في شأن" ، فالله ليس كل أربعة وعشرين ساعة في شأن، بل كل يوم أي كل لحظة وكل آن وكل وقت. شؤون النفس أيامها. وهذا زمنها الجديد الذي ستشعر به حال بعثها. لذلك ستجد أيام مثل الجمعة والتغابن وغير ذلك وكلها مشهودة للنفس الحية الآن في باطنها وستراها في بواطن الناس أيضاً. وستحكم على كل شيء في الدنيا بحسب حقيقته الأخروية، وستسمي الأشياء بأسمائها عند الله وفي ميزان الحق والقسط الذي هو كتاب الله وما آتاها الله من الفهم فيه. والبدء بيوم البعث لأن البعث أول حقيقة قرآنية أخروية ستشهدها النفس حين تتحوّل من الجهل إلى العلم. {فهذا يوم البعث}. فلماذا لم يعرفوا ذلك من قبل وقد كانوا يتلون كتاب الله؟ لأنكم {كنتم لا تعلمون} كما قال في الأمثال "تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" ، العلم بمفتاح التأويل وحقيقة باطن القرءآن لم يكن متحققاً بالتالي لم يعلموا حقيقة يوم البعث في كتاب الله. وهكذا في كل أمور الآخرة الأخرى الواردة في كتاب الله. وكتاب الله هنا هو التكويني والتنزيلي، وكلامنا في هذا التأويل عن التنزيلي، وما التكويني إلا أصل للتنزيلي، والتنزيلي وسيلة لتحصيل العلم بالتكويني.

٥٧-{فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعتبون}

يوم القيامة الصغرى وظهور تأويل القرءآن لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعتبون، لماذا؟ لأن الناس حينها بين ظالم وعاقل، فالظالم سيظهر كمظهر لحزب الشيطان وأحد أسمائه كفرعون وهامان وقارون ونحو ذلك، والعاقل سيظهر كمظهر لحزب الله وأحد أسمائه كمحمد وعيسى ولقمان ونحو ذلك، هذا من أسماء الأنفس وسيظهر أيضاً كأسماء من أسماء الآفاق كأن يكون أحدهم كلامه كالشجرة الطيبة وآخر كلامه كالشجرة الخبيثة، أو هذا كأنهار الجنّة وذلك كحميم النار، ونحو ذلك. باختصار، سيكون لكل واحد في كل آن اسم من الأسماء الواردة في كتاب الله وهو مظهر هذا الاسم ومَثل من أمثاله. بالتالي، لا مكان لمعذرة ولا لاستعتاب. فالعلم نفى المعذرة، والإيمان نفى الاستعتاب. العلم سيظهر وسيعرف كل واحد بحكم "سيريكم آياته فتعرفونها" الأمثال المضروبة والعمل الذي إن عمله الواحد صار داخلاً في مثل من الأمثال، فلا معذرة ستنفع حينها. وحين يتجلى الإنسان بسبب عمله بمثل من الأمثال وينطبق عليه الاسم القرآني، فلا مجال للاستعتاب، لأن الإيمان يعني أن نقول "هذا" كذا، كأن نقول "هذا فرعون هذه الأمة" أو "هذا كمثل هارون من موسى" ونحو ذلك، حين نقول "هذا" كذا من أسماء كتاب الله

فالحقيقة الواقعية هي أنه كذلك، فما قيمة استعتابه حينها ؟ هو كذلك ويريد أن يثبت على هذه الصفة، نعم باب التوبة مفتوح ما دام في الدنيا ، لكن الأمثال لا تنطبق عادة على شخص ببيان من الرسل إلا حين لا يبقى مجال في نفس الشخص للتراجع بل استحكم فيه المثل وهو قدره الحقيقي، فالعتب هو اللوم وفيه معنى طلب الانتقال من مكان إلى مكان فالمعنى الاستعتاب هو لوم شخص على كونه على شاكلة معينة والغرض من العتاب ضمنياً أو تصريحاً هو إرادة جعل الشخص يتحوّل من حال إلى حال كأن تعاتب من انطبق عليه مثل فرعون لأنك تريده أن يترك فرعنته ويصبح كموسى فأنت تلومه على فرعنة هو يريدها وتحققت فيها وصدق عليه المثل على لسان رسل العصر، على الأغلب هذا لن ينفعه، كما أن الله حين قال لموسى "اذهب إلى فرعون" بقي فرعون على فرعنته ولم ينفعه لا كلام موسى اللين ولا رؤية آيات الله كلها ولم يبق أمامه إلا الغرق. العلم بالأمثال المضروبة ينفي المعذرة، وتحقق الإيمان بشهود الشخص كمظهر للمثل المضروب ينفي الاستعتاب. بالتالي {فيومئذ} أي يوم البعث وما بعده، فالفاء ترتبط الآية بما قبلها وما قبلها عن يوم البعث وظهور حجّة الذين أوتوا العلم والإيمان، {لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعتبون} لأن ظلمهم يجعل معذرتهم واستعتابهم باطلاً وفي حكم الباطل قبل أن نقاش فيه، كأن يريد السارق وهو

سارق الآن ومصر على السرقة ويشتمل على بواعث السرقة ولن يغيرها لكن مع ذلك يريدنا أن نعذره بأن يحتج مثلاً بقضاء الله الذي قدّر عليه السرقة أو بأنه يحتاج إلى السرقة (وهو قادر على السرقة فهو قادر على الكسب الحلال عادة، وكلامنا ليس في المضطر مطلقاً فذلك له شأن آخر) ، وكذلك لا معنى لاستعتابه أي طلبه أن نرضى عنه وهو سارق لأننا لا نرضى عن السارق من حيث هو سارق ومصر على الاستمرار في السرقة. قيام الظلم يبطل العذر والعتب. وهكذا الحال بل أشد منه في أمر تحقق الإنسان بالأمثال القرآنية وهي الأمثال الكونية الربانية التي لا مفر لإنسان منها ولا مخرج له عن التلبس بها عرف أم لم يعرف، طوعاً أم كرهاً. وحيث لا جهل فلا معذرة، وحيث لا إكراه فلا استعتاب، فلما كان الإنسان مدرك بالعقل وحر الإرادة في الدخول في الأمثال القرآنية والتحقق بأعمال أصحابها فلا معذرة ولا استعتاب نافع يومئذ. لذلك قال بعدها...

٥٨-{ولقد ضربنا للناس في هذا القرءآن من كل مَثَل، ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مُبطلون}

فالنصف الأول يكشف عن أحد أهم أعمال القرآن وسر قوته العلمية وهو أنه فيه {من كل مَثَل}. هذه الصيغة عجيبة لأنها بحسب

صورتها يبدو أنها تجمع بين الأضداد. فمن جهة في القرءآن {كل مثل} وهذه تدل على الكلية والشمولية، فلا يوجد مثل من الأمثال إلا وهو في القرءآن. لكن من جهة أخرى في القرءآن {من كل مثل} وال"من" هذه تدل على البعضية وعدم الشمولية، أي ليس في القرءآن كل الأمثال مطلقاً بل بعض الأمثال فقط، كما قال في آية أخرى مصداقاً لهذا المعنى عن الرسل "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك" فدل على عدم الإحاطة بكل الأمثال الممكنة إذ يوجد من الرسل من لم يقصصهم عليه وهكذا أيضاً في الأمثال الآفاقية ففي القرءآن ذكر الشمس والقمر والشعرى مثلاً لكن لا يوجد ذكر كل نجم وكل مظهر من المظاهر السماوية الطبيعية، وكذلك لا يوجد ذكر كل الحيوانات في الأرض فيوجد ذكر الحوت والبقر لكن لا يوجد ذكر الدلفين والكنغر، وكذلك الحال في النبات والمعادن وغير ذلك، فيوجد ذكر لبعض الأمثال دون بعض. فكيف الجمع بين المعنيين حسب النص {من كل مثل}؟ الجواب: في القرءآن كل الأمثال الكلية وبعض المظاهر الجزئية، لأن المظاهر الجزئية لانهاية لها لكن الأمثال الكلية محصورة عقلاً، ويكفي ذكر بعض المظاهر الجزئية ليعرج العقل منها إلى الأمثال الكلية وحينها سيستغني العقل بمعرفته بالأمثال الكلية وحقيقتها وسيستطيع أن يرى العقل بعد ذلك الأمثال الجزئية بنفسه بشهودها في الآفاق والأنفس وسيضرب الله له أمثالاً جديدة

تناسبه وبلسانه وبلسان قومه كما ضرب الأمثال في هذا القرءآن العربي المحمدي. كتبسيط للأمر، الشجاعة حقيقة واحدة لكن مظاهر الشجاعة لا حصر لها ولها تجليات مستمرة، لكن يكفي أن نضرب بعض الأمثلة على الشجاعة لإيصال معناها وجوهرها للسامع، وبعد ذلك حين ينال عقله هذه الحقيقة سيستطيع هو أن يدرك مظاهر أخرى للشجاعة وأمثلة أخرى غير التي قصصناها عليه ويسرناها له أول مرة. بالتالي هذه الصيغة {من كل مثل} هي أكمل صيغة ولا يمكن غيرها أصلاً. إذ لو كان في القرءآن {كل مثل} بدون ال"من" التبعيضية لوجب أن يكون القرءآن أكثر من مليون مليون صفحة ولا تزال صفحاته تُكتَب إلى الآن وإلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. فلا يوجد مثل للنفس الإنسانية إلا وهو في القرءآن من حيث الأمثال الكلية، لكن من حيث الأمثال الجزئية المشتقة من الكلية {من كل مثل} فهذه محصورة ومعدودة وهي كافية لإيصال العاقل بإذن الله إلى حقيقة الأمثال الكلية. فالخلل يدخل على القراء حين لا يعتقدون بوجود الأمثال الكلية كلها في القرءآن فيطلبونها خارجه، وخلل آخر يدخل على الذين لا يكتفون بالأمثال الجزئية المضروبة في القرءان للوصول إلى أمثاله الكلية، وخلل ثالث يدخل في الذين يكفرون بأي مثل غير وارد في القرءآن فقط لأنه جزئية ومظهر لم ينص عليه القرءآن وكأن القرءان لم يقل "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم

نقصص عليك" وهؤلاء من مظاهر مثل اليهود الذين لا يؤمنون إلا بما فتح ربهم عليهم في كتابهم ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم ومصدق لما معهم أي يكون مثلاً غير منصوص عليه في كتابهم لكن المثل نفسه حق ويوجد في كتابنا من حيث الأمثال الكلية المعقولة ما يدل على صدقه بل هذا المثل الجديد وغير المنصوص عليه مصدّق للأمثال المضروبة في القرءآن وهو تجل من تجلياتها ومع ذلك يكفرون به فهذا أمر مرفوض عند الرسل. هذا أمر مهم جداً للروم تحديداً، لأنهم حين يخرجون في الأرض سيرون الألوان والألسنة المختلفة ومن ذلك سيرون أمثال عند مختلف الناس مختلفة عن الأمثال الجزئية في القرءان، فيجب عليهم أن يعقلوا روح هذه الأمثال وجوهرها الفكري ولا يكفروا بها فقط لأنها غير منصوصة بظاهرها في القرءآن العربي. نعم، {لقد ضربنا للناس في هذا القرءآن من كل مثل} فلا يوجد مثل للناس ويمكن للناس أن يتحلّوا به وينطبق عليهم ويدل على درجات ومقامات وأنواع نفوسهم عقلاً وإرادة وسلوكاً إلا وهو في هذا القرءآن، لاحظ "هذا القرءآن" فالكلام عن القرءآن العربي المحمدي الذي نقرأه الآن، وليس الكلام عن "ذلك" القرءآن ولا "القرءآن" مطلقاً، فالقرءآن له أكثر من درجة من الوجود، له درجة "ذلك الكتاب" هناك في الأعلى في أم الكتاب حيث "لا ريب فيه"، لكن يوجد "هذا القرءآن" الذي هو العربي المحمدي الظاهر باللسان العربي

المشهود في المصاحف وهذا يدخل الناس الريب بسببه بدليل "إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا" فالريب يدخل في درجة الكتاب حين ينزل على عبدنا أي على مظهر محدود من مظاهر الخلق وهو هذا العبد العربي المعروف، وعلى هذا النمط للقرءآن وجودات ودرجات ولكل درجة حقيقتها وقيمتها ولوازمها وأحكامها، والخلط بين الدرجات من علمات العشى أو العمى والجهل والظلم فتنبّه واحذر. فنعيد، نعم في هذا القرءآن من كل مثل لكن ليس كل مثل، وأي مثل يصدّق الأمثال القرآنية فهو حق ويجب قبوله وعدم إنكاره لعدم النص عليه في صورة هذا القرءآن العربي. الجمع بين تعقّل الكليات مع عدم الجمود على الجزئيات هو الفارق بين الرسول العقول والظلوم الجهول.

بعد معرفة أمثال القرءآن سينطق الرسل بها ويعلمونها الناس ويسمّون الناس بها، وحينها سيرد النصف الآخر من الآية القائلة {ولئن جئتهم بآية} إذن سيجئ بالآية من من هذا القرءآن أي من كل مثل مضروب فيه وسيجيئهم يسمي الأمور بهذه الأسماء ويضرب للناس هذه الأمثال القرآنية، {ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا} وهم الذين قال عنهم في آية أخرى ذكر فيها ضرب الأمثال في القرآن أيضاً "فأبى أكثر الناس إلا كفورا" الكفر التغطية والستر

للباطن وعدم تعقل معنى المثل فيكفره جهلاً به أو رفضاً له، وهنا الأمر كذلك {الذين كفروا} حين يأتيهم الرسل بآية من القرءآن فيها مثل ويسمي الأمور بها بأسماء الله حينها سيقولون للرسل {إن أنتم إلا مبطلون} دقق جيداً في كلمة "أنتم"، بداية الجملة بالمفرد ونهايتها بالجمع، لاحظ في بدايتها {لئن جئتهم} الخطاب للمفرد "جئتهم" وليس "لئن جئتوهم" بالجمع، فالذي سيجئ هنا واحد، لكن نهايتها بالجمع وسيقول الذين كفروا للذي جاء بالآية "إن أنتم إلا مبطلون" فقالوا "أنتم" فخاطبوا جمعاً ولم يخاطبوا شخصاً واحداً، كيف؟ هذا مثل قول موسى وهارون "إنا رسول رب العالمين" ولم يقولا هنا "إنا رسولا رب العالمين" كما ورد في آية أخرى "إنا رسولا ربك". فمرّة عبّر موسى وهارون عن نفسهما بضمير مفرد ومرة بضمير المثنى، مما يدل على أن الرسل كلهم حقيقة واحدة من وجه وإن كانوا مظاهر متعددة من وجه آخر وكلاهما حق، كما أن الله أحد لكن له أسماء حسنى. والقرآن آية واحدة لكنها آيات كثيرة أيضاً. اختلف الاعتبار فاختلف التعبير. كذلك الحال هنا. الذي سيجئ بالآية هو رسول القرءآن، الذي سيقرأ الأمثال القرءآنية ويجئ بها للناس ويضربها للناس ويبينها بلسان قومه، فهو رسول واحد من وجه لكنهم رسل كثير من وجه آخر إذ كل قارئ للقرءآن عاقل له مبلغ له مأذون له بذلك من الله فهو رسول من رسل الله بدرجة ما، فلما كان هؤلاء كثر

والناس خصوصاً الذين كفروا لن يروا الحقيقة الجامعة للرسل التي تكشف عن وحدتهم الروحية بل سيرونهم من حيث كثرهم الطبيعية سيكون جوابهم "إن أنتم إلا مبطلون" بالتكثير والجمع.

{إن أنتم إلا مبطلون} أي هذه الأمثال التي تضربونها لنا باطلة لا تنطبق علينا ، أو هي باطلة لم يضربها الله، أو هي باطلة لن يتحقق مضمونها في الآخرة ولا ستكون عاقبتنا في الدنيا كما تضربون لنا كأن يقول الرسل لشخص "هذا فرعون هذه الأمة" ثم يزعم هذا الشخص أنه لن يغرق كما قال الله ويدعي أن هذه نبوءة باطلة. كل ذلك سيواجَه به رسل أمثال القرءآن. فلماذا لا يعقل هؤلاء أمثال القرءآن ويدعون أن الرسل مبطلون وقولهم باطل وهو غير متحقق ولن يتحقق؟ الجواب في الآية التالية...

٥٩-{كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون}

رجعنا إلى نفس {لا يعلمون} التي قالها الذين أوتوا العلم والإيمان في يوم البعث "ولكنكم كنتم لا تعلمون" . وهم الذين لا يعلمون روح الأمثال وعقلها وحقيقتها الربانية والكونية والنفسية. قلوبهم لا يعقلون بها ولا يفقهون بها ، فهو لا يستعملون قدرتهم القلبية على

التعقل ليعقلوا أمثال القرءآن ولا قدرتهم على التفقه للتفقه في أمثال القرءان التي يجيئهم بها رسل عصرهم، بل هم في الحقيقة ينكرون قلوبهم الروحانية هذه لأنهم يعلمون ظاهراً من الحيوة دنيا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وانحصروا في المحسوس وجسماني والمادي واللحظة الطبيعية، كل ذلك طبع على قلوبهم تلك فجعلهم يكفرونها وبالتالي يكفرون بالقرءآن. الإنسان لا يكفر بالقرءآن إلا بعد أن يكفر بالإنسان. كفره بالقرءآن أثر من آثار كفره بنفسه. فحين ترى الذين يقولون لرسل عصرهم "إن أنتم إلا مبطلون" حين يأتونهم بأمثال القرءان، فاعلم أنه {كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون} فاعتبر بهم جيداً وانظر فيهم واتقي ما هم عليه.

حسناً، سينكر ويرفض ويكفر بعض الناس بأمثال القرءآن، فما تكليف الرسل في هذه الحالة؟ ماذا يفعلون حين يكفر الناس بالأمثال التي يضربونها لهم ويبشرونهم وينذرونهم بها دنيا وآخرة وعند الله؟ هل يسعون لإكراههم على التحوّل مما هم عليه؟ هل يقاتلونهم بالعدوان إن لم يقاتلهم الذين كفروا بل اكتفوا بأن ردوا عليهم بالقول "إن أنتم إلا مبطلون" وإن كان في هذا القول كفر ورفض واتهام للرسل في أشخاصهم وعقولهم ونيتهم أيضاً فهل يواجهونهم بالعنف؟ هل يحزنون عليهم ويقتلون أنفسهم بسبب عدم إيمان الناس بهم حزناً

وكمداً على ضلال الناس؟ أم ماذا على الرسل بعد البلاغ المبين لأمثال القرءآن المبين؟ الجواب على ذلك في آخر آية من سورة الروم التي هي سورة أصحاب روح العلوم ودقائق الفهوم...

٦٠-{فاصبر، إن وعد الله حق، ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون}

أمر ونهي. هذا هو تكليف الرسل. تكليف الروم في كل زمان ومكان بعد تبليغ القرءآن وأمثاله للناس وتبيينه لهم وتسميتهم به.

الأمر، {فاصبر}. إذن لا عنف، لا عدوان، لا حزن عليهم، لا شفقة، لا شيء من كل مظاهر تعنيف الآخر أو تعنيف النفس بسبب كفر الآخر وجهله. الناس أحرار في الدنيا للكفر بما يشاؤون وقول ما يشاؤون حتى إن كان قولهم شتماً وسباً وطعناً وكفراً بالرسل وكتاب رب الرسل، أئمة وأتباعاً. التكليف يرجع على الرسل أنفسهم وذلك بالصبر، الصبر تكليف على الرسول وليس على المرسل إليه. المرسل إليه قد أخبرنا الله هنا أنه كفر ورفض وأنكر الرسالة وطعن في الرسول "إن أنتم إلا مبطلون". لكن عاد التكليف على الرسول لأن الناس أحرار في قول ما يشاؤون، أحرار يعني لا يجوز معاقبتهم من قبل الناس رسل أو غيرهم فقط لأنهم قالوا شيئاً مهما كان ما قالوه

باطل وشنيع وقبيح ولو في حق رسل الله بل وفي الله ذاته جل وعلا كالذين قالوا "إن الله فقير" فإنه لم يأمر الرسول بالعدوان عليهم بسبب ذلك بل رد عليهم القول بالقول. إذن، الصبر هو الأمر والتكليف الشرعي لمواجهة الكافرين وقائلي الكفر والطعن في المرسلين.

لماذا الصبر؟ لأن {إن وعد الله حق}. الأمثال القرءآنية تكشف عن وعد الله، وعده لمظاهر أمثال الحسن كحزب الله ووعده لمظاهر أمثال السوء كحزب الشيطان، في الدنيا وعد وفي الآخرة وعد وعند الله وعد. وعد الله حق وقد كشف لك في أمثاله التي ضربها للناس في هذا القرءآن عن هذا الوعد الحق. أي هو حق في نفس الأمر وسيتحقق وستظهر حقيقته وإن لم تكن ظاهرة الآن لعيان الحس ولذلك يستطيع البعض الكفر بها وإنكارها واتهام الرسل بأنهم "مبطلون"، لكنها حق وستحقق فلا تستعجلوا ظهورها لأنها أتت وانتهى الأمر "أتى أمر الله فلا تستعجلوه". فلم يبق إلا الصبر، لأن الكون له درجات ويتنزل الأمر الإلهي من السماء إلى الأرض وهذا التنزل يحتاج إلى زمان ليتم لذلك سيظهر الأمر بعد حين "لتعلمن نبأه بعد حين"، فالصبر كالصبار له باطن لطيف وظاهر خشن، فباطن الصبر العلم بأن وعد الله حق وشهود حقيقة الأمثال القرآنية في مراتبها ودرجاتها العليا ووجهها الغيبي النفسي فحتى إن لم تظهر

للحس للكل بعد فإن الروم يعقلون حقيقتها في مراتبها الغيبية فهي باطنياً واقعة وقد أتت وانتهى الأمر، ويعلمون أنها ستتنزل وتظهر للكل بنحو لا يستطيع لا كافر ولا منافق أن يردها بعد حصولها "أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون"، فهم يصبرون ظاهراً وهو الوجه الخشن للصبر لأنه متعلق بالزمان والزمان خشونة مزعجة للنفس لأن النفس من حيث روحانيتها آنية وفورية وليس فيها تدرّج الزمان المتعلق بالخلق والعالَم الظاهر. فلأن للرسل أجسام فلابد من الصبر والصبر سيكون خشناً ومزعجاً من وجه من حيث جسمانيتهم، لذلك ستجد في آيات أخرى أنه أمر الرسول بأمر روحاني هو التسبيح بحمد ربه في مخلتف الأزمنة لعله يرضى ولا يؤذيه قول القائلين الكافرين الذين ينكرون صدق رسالته وتحقق وعده وأمثاله، فدلّه على تقوية وجهه الروحاني حتى يغلب وجهه الجسماني المحبوس في الزمان والمكان والمحسوس. أما هنا فاكتفى ببيان عقلي {إن وعد الله حق} هذه الحقيقة العقلية سبب من أسباب الصبر والقيام بالصبر، فتذكّر هذه الحقيقة مهم كلما شعر الرومي بضعف صبره وقلته وتفلته منه وإرادته استعجال ظهور آيات الله للكل.

النهي، {لا يستخفنّك الذين لا يوقنون}. الاستخفاف فيه معنى الضعف والحماقة والرقة والسذاجة. أي لا تجعل الذين لا يوقنون

يجعلونك خفيفاً في عقلك وفي إرادتك بحيث تنكر ما عقلته من حقائق كحقيقة {إن وعد الله حق}، ولا في إرادتك فيجعلونها ضعيفة رقيقة يمكن التلاعب بها بسهولة. اليقين الثبوت في العلم والاستقرار العقلي، فالذين لا يوقنون بحقيقة الآخرة وباطن القرءان سيسعون لاستخفاف الرسل، فمن جهة سيسخرون منهم ويستهزءون بهم ويعتبرونهم سخفاء بسبب دينهم وعقلهم وكلامهم وأمثالهم، ومن جهة سيسعون لجعل الرسل ينكرون عقلهم وطريقهم هذا بحجة أنه طريق سخيف وباطل ولا ثبوت له في الواقع ونحو ذلك. هذا وغيره كله داخل في نهي {لا يستخفنّك}.

ما الدافع للالتزام بهذا النهي؟ الجواب: لأن الذين يستخفّون هم قوم {لا يوقنون} أصلاً. هم قوم هلكى ضاعوا في بحار ظلمات التغيرات والمحسوسات، لا استقرار لهم ولا يقين عندهم بشيء أصلاً، هم قوم لا يوقنون بشيء لأنه لا يقين لهم في واقع الأمر، فكل أمرهم ما بين العدميات والمشكوكات والنسبيات والمظنونات واللاأدريات، فهم قوم لا يوقنون بالتالي هم أسخف السخفاء، فكيف تجعل السخيف يستخفك، فهو أولى الناس بسخفه والاستخفاف به لأنه لا يوقن بشيء ولا يقين عنده بشيء على التحقيق ولا يعلم حقيقة نفسه ولا حقيقة الكون ولا حقيقة شيء بل وقد تجده يعترف بذلك بصراحة ويعلنه بقوة أنه لا يقين أصلاً بشيء وإنما الدنيا كلها من عدم إلى

عدم والنفس من عدم إلى عدم والأمر مجهول والوجود غير معقول المعنى وغير معقول العلة ولا يقين بشيء. فمن كان هذا حاله كيف يستوي هو ومن يعلم أن {وعد الله حق} فهو يعلم الله ويعلم وعد الله ويعلم أن وعد الله حق، ويعلم الأمثال التي هي مضمون وعد الله بالتالي يعلم حقائق النفوس وأسبابها ومآلها دنيا وآخرة ومقامها عند الله بكشف الله وبيانه وكلمته العليا.

إذن، شعار الروم هو الصبر. لأنهم أهل الذكر. أهل القرءآن. أهل الأمثال. أهل وعد الله الحق. فمن كان من الروم فهو من الغالبين، ومن نصر الروم فهو من المنصورين، وهؤلاء هم حزب الله رب العالمين. "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون". والحمد لله رب العالمين.

....